Twitter: @alqareah
12.4.2017

الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن

سكوت فيتزجيرالد

ترجمة :
إكرام صغيري

الطبعة الأولى

KALEMAT

الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن

وقصص أخرى

سكوت فيتزجيرالد

ترجمة

إكرام صغيري

٢٠١٥

KALEMAT

Twitter: @alqareah

الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن

Twitter: @alqareah

● الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن
● سكوت فيتزجيرالد
● دار كلمات للنشر والتوزيع
● الطبعة الأولى ٢٠١٥

دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٨٦
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
Dar_Kalemat@hotmail.com

● جميع الحقوق محفوظة للناشر : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطِي مسبق من الناشر .

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

رقم الإيداع : (2015/635)

ردمك : ISBN: 978-99966-92-08-6

Twitter: @alqareah

مقدمة

فرانسيس سكوت كي فيتزجيرالد (٢٤ سبتمبر ١٨٩٦ - ٢١ ديسمبر ١٩٤٠) كاتب أمريكي من عصر الجاز، يعتبر واحدا من أعظم كتاب القرن العشرين. وكان ينتمي إلى ما أطلق عليه «الجيل الضائع» من الأمريكيين الذين ولدوا في سنوات التسعينات من القرن التاسع عشر، والذين عاشوا شبابهم في فترة الحرب العالمية الأولى. وكتب أربع روايات (هذا الجانب من الجنة، الجميلة والملعون، غاتسبي العظيم، الليلة الناعمة) أما الخامسة «حب التاجر الأخير» فلم ينهها، بالإضافة إلى العشرات من القصص القصيرة، والمسرحيات. وقد حوّلت بعض مؤلفاته إلى أعمال سينمائية كرواية غاتسبي العظيم، و«الحالة المحيرة لبنجامين بتن».

وقد اشتهر فيتزجرالد بإسرافه في الشرب، وأثر هذا في حياته حيث لم تأخذ كتاباته في الأوساط الثقافية آنذاك على محمل الجد، وتعرض لضائقة مالية جراء هذا، ما اضطره بعد تدهور وضعه المادي إلى الانكباب على كتابة القصص القصيرة وانتقل بعدها إلى هوليوود لكتابات السيناريوهات السينمائية.

Twitter: @alqareah

توفي فيتزجيرالد عام ١٩٤٠ ، بعد أن أفل نجمه . وقد كانت وفاته مناسبة للشفقة عليه ورثاء آخر أيامه البائسة وما آل إليه حاله ، ونُسيت ملكاته الإبداعية وآثاره الأدبية الرائعة ، حتى أنه لم تكن المكتبات تتوفر على كتاب واحد من أعماله .

لكن الاهتمام بأعمال فيتزجيرالد عاد من جديد بعد الحرب العالمية الثانية بالغاً ذروته في عقد الستينات من القرن الماضي ، حيث تم الاعتراف به كواحد من أهم أدباء القرن العشرين ، وذلك لما تضمنه إرثه الأدبي من محاولات سبر أعماق النفس البشرية وتطرقه لمفاهيم العدل والمساواة بوأته مكانة مرموقة في لائحة روائع الأدب الأمريكي .

وتحتوي هذه المجموعة القصصية على ست قصص قصيرة تتناول خمس منها مواضيع الشباب والتقدم في السن التي لطالما شغلت فيتزجرالد ، في حين أن قصة «حالة مدمن الكحول» تطرق فيها بشكل ما إلى جانب من تجربته الشخصية مع الإدمان :

- حفلة الأطفال (Baby party) : التي نشرت في فبراير ١٩٢٥ .
- أخبار باريس- قبل خمسة عشر سنة (News of Paris-fifteen years ago) : التي نشرت سنة ١٩٤٧ .
- في مثل سنك(At your age) : نشرت في ١٧ اغسطس ١٩٢٩ .

Twitter: @alqareah

- حالة مدمن الكحول (The alcoholic case) : فبراير ١٩٣٧ .
- لعبة القدر (Six of one) : نشرت في فبراير ١٩٣٢ .
- الحالة المحيرة لبنجامن بُتن (The curious case of Benjamin Button) : نشرت سنة ١٩٢٢ .

المترجمة

إكرام صغيري

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

حفلة الأطفال

حين أحس جون أندروس بتقدمه في العمر ، وجد عزاءه في فكرة أن الحياة ستستمر من خلال ولده . وكان عزف أبواق النسيان الكئيبة أقل صخبا على وقع أقدام طفله أو على صوته وهو يثرثر معه على الهاتف بجنون كلاما بلا معنى . كان هذا الموقف الأخير يحدث بعد ظهيرة كل يوم على الساعة الثالثة عندما تتصل زوجته على الهاتف من البلدة ، وكان هو يتطلع بشغف لهذه اللحظات المشرقة من يومه .

والحقيقة انه لم يكن عجوزا من الناحية الجسدية ، لكن حياته كانت سلسلة من الكفاح ، طريقا من التلال الوعرة ، وها هو في الثمانية والثلاثين قد انتصر في معاركه ضد المرض والفقر ، ولم يبقى في ذهنه إلا عدد قليل من الأوهام ، أقل من المعتاد . حتى شعوره تجاه ابنته الصغيرة كان محدودا . فلقد قطعت علاقته الغرامية العميقة إلى حد ما مع زوجته ، وكانت السبب وراء عيشهم في الضواحي ، حيث يدفعون ثمن العيش بعيدا عن المدينة ، بالإضافة إلى مشاكل الخدمات اللانهائية والتنقل المتعب بالقطار .

كانت إيدي الصغيرة ، كقطعة خالصة من الشباب ،

Twitter: @alqareah

الشباب الذي كان يسلب لب اهتمامه . كان يحب أن يأخذها في حضنه ويفحص بدقة رأسها العبق وفروته الناعمة وعينيها اللتان كانتا بلون الصبح الأزرق . وبعد أن يشكر هذه النعمة يقتنع جون أنه على المربية أخذها . وما أن تمر عشر دقائق حتى تثير حيوية الطفلة الزائدة غضبه ، فكثيرا ما يفقد أعصابه حين تكسر الأشياء . وذات ظهيرة من يوم الأحد ، استشاط غضبا عندما تسببت في تعطيل لعبة الطرنيب[(١)] بإخفاها المستمر للآص البستوني ، ما دفع زوجته إلى البكاء .

كان الأمر سخيفا وشعر جون بالخجل من نفسه . لم يكن هناك مفر من حدوث مثل هذه الأمور ، فمن المستحيل أن تقضي الصغيرة إيدي كل ساعاتها في البيت حبيسة حجرة نومها في الطابق العلوي ، في حين أنها ، وكما قالت والدتها ، تكبر يوما بعد يوم .

لقد بلغت السنتين ونصف ، وفي ظهيرة اليوم ، على سبيل المثال ، كانت ذاهبة إلى حفلة أطفال ، لقد كبرت الفتاة . اتصلت والدتها ـ إيديث الكبرى ، بالمكتب لتخبر جون ، حين أكدت الصغيرة إيدي الأمر صارخة في أذن جون اليسرى : «أنآ ذاهبة إلى الحفنة!»[(٢)] .

---

(١) نوع من ألعاب الورق

(٢) بلغة الأطفال

Twitter: @alqareah

«عندما تعود إلى البيت مر على منزل عائلة ماركي ، هل ستفعل يا عزيزي؟» استأنفت والدتها . «سيكون الأمر مضحكا . سترتدي إيدي ثوبها الوردي الجديد بالكامل» .

انتهت المحادثة فجأة مع صرخة عالية تدل على أن السماعة قد سُحبت بعنف إلى الأرض . ضحك جون وقرر أن يستقل قطارا مبكرا ؛ فقد بدا احتمال إقامة حفلة أطفال في منزل شخص آخر أمرا مسليا بالنسبة له .

«يا لها من فوضى!» فكر بسخرية . «مجموعة من الأمهات ، كل واحدة منهن لا تراقب سوى طفلها . وكل الأطفال يكسرون الأشياء ، ويستولون على الكعكة ، وكل أم تفكر ، حين تعود إلى منزلها ، في تميز طفلها عن بقية الأطفال في الحفلة .»

لقد كان في مزاج جيد اليوم ، فكل الأشياء في حياته كانت تسير على نحو أفضل مما كانت عليه في أي وقت مضى . وعندما نزل من القطار في محطته ، هز رأسه معبرا عن رفضه لعرض سائق سيارة أجرة مزعج ، وبدأ يسير عبر التلة متجها نحو منزله ، تحت شفق ديسمبر المنعش . لم تزل بعد السادسة والقمر متجلي ، يشع في تألق على الثلج السكري الرقيق الذي يكسو المروج .

حين صعد الدرج القرميدي ودق على جرس الباب ، بدأ يستوعب الأصوات التي في الداخل ، وكان سعيدا لأنه لم

Twitter: @alqareah

يتأخر كثيرا . ثم رفع رأسه ، وأنصت . لم تكن أصوات الأطفال ، بل كانت أصواتا صاخبة وعالية بنبرة من الغضب . لقد كان هناك على الأقل ثلاثة منها ، والتي ارتفعت بينما هو يستمع إلى نشيج هستيري ، وعرف مباشرة أن واحدا من هذه الأصوات كان صوت زوجته .

«يبدو أنه قد حدثت بعض المشاكل» فكر بسرعة .

حين أدار قفل الباب ، وجده غير مقفل فدفع الباب ليفتح .

كانت الحفلة قد بدأت في الرابعة والنصف ، ولكن إديث أندروس ، حسبت بدهاء أن الثوب الجديد سيبدو أكثر إثارة مقارنة بالأثواب التي تجعدت مسبقا ، فخططت لذهابها والصغيرة إيدي على الساعة الخامسة . وعندما ظهرتا كانت الأمر بالفعل مدعاة للتباهي . أربع فتيات وتسع أولاد ، كل واحد منهم قد جُعِّد شعره وغُسل وأُلبس بعناية بالغة من قلب يملؤه الفخر وتشوبه الغيرة ، كانوا يرقصون على أنغام الفونوغراف . ليس أكثر من اثنين أو ثلاثة أولئك الذين رقصوا في نفس الوقت ، ولكن بما أن الجميع كانوا في حركة دائمة يركضون نحو أمهاتهم جيئة وإيابا من أجل أن يحظوا بالتشجيع ، فقد كان التأثير العام هو نفسه .

عندما دخلت إديث وابنتها ، كانت الموسيقى غارقة بشكل مؤقت في عزف الجوقة البارعة التي كانت تشكل بأحرف كبيرة كلمة «لطيف» موَجَهة نحو الصغيرة إيدي التي ظلت تتلفت

Twitter: @alqareah

بخجل وتتلمس بأصابعها حواف ثوبها الوردي . لم يُقَبّلها أحد- إذ أنها لا تزال في سن تحتاج فيها إلى النظافة والتعقيم- لكنها مرت على صف من الأمهات وكانت كل واحدة من هن تردد لها «لطيييفة» فتمد لها يدها الوردية الصغيرة قبل أن تمر إلى التالية . وبعد بضعة تشجيعات والقليل من الدفع اللطيف اندمجت في الرقص ، وأصبحت عضوا نشطا في الحفلة .

وقفت إديث بالقرب من الباب تتحدث إلى السيدة ماركي ، ونظرها على هذا المخلوق الصغير في الثوب الوردي . لم تكن تهتم للسيدة ماركي ، فقد كانت تعتبرها متكبرة وسوقية على حد سواء ، كانت هذه المشاعر متبادلة بينهما رغم تظاهرهما المحكم بدفء الصداقة . كانتا تلومان بعضهما على عدم تبادل الزيارات ، وتخططان دائما لذلك النوع من الحفلات التي تبدأ بعبارة «يجب أن تأتوا لتناول العشاء معنا في أقرب وقت ، وسنذهب إلى المسرح» ، ولا يتجاوز الأمر هذا الحد .

«تبدو الصغيرة إيدي فاتنة جدا» قالت السيدة ماركي ، وابتسمت وبللت شفتيها بطريقة وجدتها إديث على وجه الخصوص مثيرة للاشمئزاز .

«لقد كبرت إذا ، لا أستطيع حتى تصديق ذلك!»

وتساءلت إديث إذا ما كانت عبارة «الصغيرة إيدي» تشير إلى حقيقة أن بيلي ماركي ، وعلى الرغم من أنه أصغر منها

Twitter: @alqareah

بعدة أشهر ، إلا أن وزنه أكثر منها بما يقرب من خمس باوندات . ثم أخذت كوبا من الشاي وجلست مع سيدتين على أريكة وشرعت في المهمة الحقيقية لفترة ما بعد الظهر ، وهي بالطبع الحديث عن إنجازات طفلتها الأخيرة ولامبالاتها .

وبعد مرور ساعة ، مل الصغار من الرقص واتجهوا إلى الرياضة الأشد . فركضوا في غرفة الطعام ، واستداروا حول الطاولة الكبيرة ، وجربوا باب المطبخ ، أين قام فريق من الأمهات بتخليصهم منه . وبعد أن تم تجميعهم هربوا على الفور ، واندفعوا عائدين إلى غرفة الطعام لتجريب الباب الدوار مرة أخرى . أصبح الجو «محموما» ، وكانت الجباه البيضاء الصغيرة تجفف بمناديل بيضاء صغيرة . وبدأت محاولة عامة لجعل الأطفال يجلسون على الكراسي ، لكنهم كانوا يتلوون ويصرخون بقوة «إلى أسفل! إلى أسفل!» وبدؤوا من جديد الاندفاع نحو الباب الدوار الرائع .

ووصلت الحفلة إلى نهايتها مع وصول المرطبات ، كعكة كبيرة مع شمعتين ، وصحون المثلجات الفانيليا . أطفأ بيلي ماركي ، الطفل السمين البشوش ، ذو الشعر الأحمر والساقين المقوسين إلى حد ما ، الشموع وغمس إبهامه في الكريمة البيضاء ليتذوقها . وزعت المرطبات ، وأكل الأطفال ، بنهم لكن دون إثارة الفوضى ، لقد تصرفوا بشكل جيد وملحوظ طيلة فترة ما بعد الظهر . لقد كانوا أطفالا عصريين إذ كانوا يأكلون

Twitter: @alqareah

وينامون في أوقات منتظمة ، وبالتالي فقد كان تصرفهم جيدا ، ووجوههم متوردة وتوحي بالصحة الجيدة . لم يكن بالإمكان إقامة حفلة هادئة كهذه قبل ثلاث سنوات .

بعد تناول المرطبات بدأ الضيوف ينصرفون تدريجيا . كانت إديث تحدق بقلق في ساعتها ، فقد شارفت السادسة ، ولم يصل جون . كان تريده أن يرى إيدي مع الأطفال الآخرين ، ليرى كم هي وقورة ومهذبة وذكية ، وكيف أن بقعة الايس كريم الوحيدة على ثوبها قد سقطت من ذقنها عندما تمايلت نحو الخلف . «أنت فاتنة» ، همست لطفلتها عندما جذبتها فجأة على ركبتها «هل تعلمين أنك فاتنة؟» «هل تعلمين أنك فاتنة؟» .

ضحكت إيدي وقالت فجأة «هاو هاو» .

نظرت إيديث حولها قائلة : «هاو هاو؟ لا يوجد هاو هاو» .

كررت إيدي «هاو هاو» ، «أريد هاو هاو» .

فتتبعت إديث إشارة الإصبع الصغير .

«هذا ليس هاو هاو ، عزيزتي ، «بل هذا دبدوب» .

«دبدوب؟»

«نعم ، هذا دبدوب ، وهو لبيلي ماركي . أنت لا تريدين دبدوب بيلي ماركي ، أليس كذلك؟

لكن إيدي كانت تريده .

ابتعدت عن أمها واقتربت من بيلي ماركي الذي كان

Twitter: @alqareah

يضم الدمية بشدة بين ذراعيه . ووقفت إيدي ترقبه بعينين مبهمتين ، وبيلي ضحك .

ونظرت إيديث الكبرى مرة أخرى إلى ساعتها ، هذه المرة بنفاد الصبر .

بدأ عدد ضيوف الحفلة يتضاءل ولم يتبق ، إلى جانب إيدي وبيلي ، إلا طفلين ، واحد منهما بقي لأنه اختبأ تحت طاولة غرفة الطعام . هذه أنانية من جون أن لا يأتي . هذا يدل على قلة اعتزازه بطفلته . لقد حضر الآباء الآخرون ، مجموعة منهم ، ونادوا على زوجاتهم ، وبقوا لفترة من الوقت يتفرجون . وفجأة سُمع عويل . لقد أخذت إيدي دمية بيلي وسحبتها بقوة من بين ذراعيه ، وعندما حاول بيلي استعادتها ، دفعته دون قصد على الأرض . «لماذا ، يا إيدي!» صرخت والدتها ، مُحاوِلةً منع نفسها من الضحك .

والتقط جو ماركي ، الرجل الوسيم عريض المنكبين ، ذو الخمسة والثلاثين ربيعا ، ابنه وأوقفه على قدميه وقال ببشاشة «أنت فتى رائع» ، «تسمح لفتاة أن توقعك! أنت حقا فتى رائع» .

هل ارتطم رأسه؟ قالت السيدة ماركي بقلق بعد أن عادت من مرافقة آخر الأمهات المتبقيات إلى الباب .

«لاااا» ، هتف ماركي «لكنه صدم شيئا آخر ، أليس كذلك يا بيلي؟ لقد صدم شيئا آخر» .

Twitter: @alqareah

وكان بيلي قد نسي حتى الآن الصدمة في محاولته لاستعادة ممتلكاته . فأمسك بساق الدبدوب البارزة من ذراعي إيدي المضمومتين عليها وشد بقوة عليها لكن دون أن يفلح .

«لا» ، قالت إيدي بشكل قاطع .

فجأة ، وقد شجعها نجاح مناورتها شبه العرضية السابقة ، ألقت إيدي الدبدوب ، ووضعت يديها على كتفي بيلي ودفعته إلى الخلف .

هذه المرة لم تكن الوقعة أقل إيذاء ، فقد ارتطم رأسه بالأرضية العارية بالقرب من السجاد فأصدر صوتا مكتوما أجوفا ، وعندها شهقت أنفاسه وأطلق صرخة ألم . وعلى الفور عم الارتباك الغرفة . وبتعجب هرع ماركي نحو ابنه ، لكن زوجته كانت الأولى في الوصول إلى طفل المصاب وحملته بين ذراعيها .

«أوه ، بيلي» صرخت : «يا لها من ضربة فظيعة! يجب أن تُعاقب الفتاة» .

سمعت إديث ، التي هرعت على الفور إلى ابنتها ، هذه الملاحظة ، وضمت شفتيها بشدة .

«لماذا يا إيدي» همست بلا مبالاة ، «أنت فتاة سيئة!»

أرجعت إيدي رأسها الصغير إلى الخلف وبدأت بالضحك . كانت تضحك بصوت عال ، ضحكة ابتهاج بالنصر يشوبها نوع من التحدي والازدراء . لسوء الحظ فقد كان ضحكها معديا ،

Twitter: @alqareah

وقبل أن تدرك والدتها حساسية الموقف ، انخرطت هي الأخرى في الضحك ، بشكل مسموع وواضح لا يختلف عن ضحك ابنتها ، ويشترك معه في نفس المدلول .

بعد ذلك ، توقفت فجأة .

امتقع وجه السيدة ماركي من الغضب ، وماركي الذي كان يتحسس بإصبعه رأس الطفل من الخلف ، نظر إليها ، مقطبا وقال بنبرة تأنيب «لقد تورم بالفعل ، سأحضر بعض الهاماميليس»[١] .

لكن السيدة ماركي لم تتمالك أعصابها وقالت بصوت مرتجف «أنا لا أرى ما يثير الضحك في تعرض طفل للأذى! .»

في غضون ذلك ، كانت إيدي ترمق والدتها بفضول . ولاحظت أن ضحكها قد أدى إلى ضحك أمها ، وتساءلت عما اذا كان نفس السبب يؤدي دائما إلى نفس النتيجة ، لذا اختارت هذه اللحظة لتلقي برأسها وتضحك من جديد .

بالنسبة لوالدتها فقد أضفى المرح الزائد اللمسة النهائية من الهستيريا لهذا الموقف . وبضغطها بالمنديل على فمها قهقهت لا إراديا . لقد كان الأمر أكثر من مجرد عصبية ، فقد

(١) نبات مستوطن فى أمريكا الشمالية ، وهى تزرع أيضا فى كل أوروبا وكندا ، وأنحاء اخرى كثيرة من العالم ، وتستخدم الأوراق واللحاء طبيا

Twitter: @alqareah

أحست أنها وعلى نحو غريب كانت تضحك مع ابنتها ، لقد كانتا تضحكان معا .

كان ذلك تحديا بطريقة ما ، هما الاثنتين ضد كل العالم .

عندما هرع ماركي إلى الحمام بالطابق العلوي لجلب المرهم ، كانت زوجته تمشي و تهز الصبي الذي يصرخ بين ذراعيها .

«أرجوكِ عودي إلى بيتك!» قالت فجأة «لقد أصيب الصبي بضرر بالغ ، وإن لم تكن لديك اللباقة لأن تبقي هادئة ، فمن الأفضل أن تعودي إلى بيتك» .

«جيد جدا» ، قالت إديث ، وقد زاد انفعالها «لم أر أبدا شخصا مثلك يصنع من الحبة قبة» .

«اخرجي!» صرخت السيدة ماركي بشكل محموم .

«ها هو الباب أمامك ، اخرجي ، لا أرغب أبدا في رؤيتك في بيتنا مرة أخرى . لا أنت ولا ابنتك المزعجة» .

أمسكت إيديث يد ابنتها وأخذت تسير بسرعة نحو الباب ، لكن عند سماعها هذه الملاحظة توقفت والتفت ووجهها محتقن بالسخط «لا تتجرئي على نعتها بهذه الكلمة!»

لم تجب السيدة ماركي لكنها واصلت السير صعودا ونزولا ، تدمدم بينها وبين بيلي بصوت غير مسموع .

وشرعت إديث في البكاء .

سأغادر! قالت باكية «لم ارى أبدا شخصا فظا ومُـ-

Twitter: @alqareah

مبتذلا في حياتي ، وأنا سعيدة لأن طفلك قد دُفع على الأرض ، فهو ليس إلا طفلا بـ- بدينا أحمقا صغيرا على أية حال» .

وبلغ جو ماركي أسفل الدرج في الوقت المناسب لسماع هذه الملاحظة .

«لماذا يا سيدة أندروس» قال بحدة «ألا يمكنك رؤية إصابة الطفل . يجب عليك فعلا أن تسيطري على نفسك» .

«أسيطر على نـ- نفسي!» صرخت إديث بانكسار . «من الأفضل أن تطلب منها مـُ-مراقبة نفسها . لم أرى أبدا في حياتي شخصا مـُ- مبتذلا مثلها» .

«إنها تهينني!» قالت السيدة ماركي وقد استبد بها الغضب .

«هل سمعت ما قالته ، جو؟ أرجو أن تلقي بها خارجا . وإن رفضت ، فعليك فقط أن تسحبها من كتفيها وتلقي بها خارجا» .

«لا تتجرأ على لمسي!» صرخت إديث «انا ذاهبة بسرعة بمجرد أن أجد مـِ-معطفي!»

توجهت نحو القاعة وقد امتلأت عيناها بالدموع . في هذه اللحظة فُتح الباب ودخل جون أندروس إلى الداخل بقلق .

«جون!» هتفت إديث ، وفرّت إليه بعنف .

«ما الذي يجرى؟ لماذا ، ما الذي يجري؟»

Twitter: @alqareah

«إنهم – إنهم يطردونني!» انتحبت وانهارت بين يديه .

«كان قد بدأ للتو في سحبي من الكتفين ليلقي بي خارجا . أريد معطفي!»

«هذا ليس صحيحا» اعترض ماركي على عجل .

«لا أحد كان سيلقي بها إلى الخارج» والتفت إلى جون «لا أحد كان سيلقي بها إلى الخارج» كرر مرة أخرى «إنها» .

«ماذا تقصد بـ«إلقاءها خارجا»؟ سأل جون فجأة» .

«ما كل هذا الكلام ، على أية حال؟»

«أوه ، دعنا نذهب!» صرخت إديث . «أريد أن أذهب . أنهم سوقيون جدا يا جون!»

«اسمعي!» وامتقع وجه ماركي «لقد قلت بما يكفي هذا الكلام . أنت تتصرفين بجنون» .

«لقد نعتوا إيدي بالمزعجة!»

وللمرة الثانية في هذه العشية أبدت الصغيرة إيدي انفعالا في اللحظة غير المناسبة . مرتبكة وخائفة من الأصوات العالية ، شرعت في البكاء وكان لدموعها تأثير على من حولها لتعلمهم أنها قد شعرت بالإهانة في قلبها .

«ما معنى هذا؟» صاح جون . «هل تهين ضيوفك في منزلك الخاص؟»

«يبدو لي أن زوجتك هي من بدأ بالإهانة!» أجاب ماركي بحدة . «في الواقع ، ابنتك هذه هي من بدأت كل المشاكل» .

Twitter: @alqareah

امتعض جون ، وسأل «هل يمكنك لوم طفلة صغيرة؟» .

«يجب أن تحل هذه المسألة رجلا لرجل!»

«لا تتحدث معه يا جون ،» أصرت إديث . «جد لي معطفي!»

واصل جون بغضب «لا بد من أنك في حالة سيئة ، إن توصل بك الأمر إلى أن تفقد أعصابك على طفلة صغيرة لا حول لها» .

«لم أسمع كلاما ملتويا لعينا كهذا في حياتي» صاح ماركي .

«لو تمكنت زوجتك من إغلاق فمها لدقيقة» .

«لحظة! أنت لا تتحدث الآن إلى امرأة وطفلة» .

ثم كان هناك انقطاع عرضي . كانت إديث تحاول البحث عن معطفها على كرسي ، والسيدة ماركي تراقبها بعينين حادتين غاضبتين ، وفجأة وضعت بيلي على الأريكة ، حيث توقف فورا عن البكاء واعتدل في الجلسة ، وتوجهت إلى الردهة وسرعان ما وجدت معطف إديث وسلمته لها دون أن تنبس بكلمة . ثم عادت إلى أريكة ، وحملت بيلي ، وأخذت تهزه بين ذراعيها وترمق إيديث بنفس النظرة . وقد استغرق هذا الأنقطاع أقل من نصف دقيقة .

«تأتي زوجتك عندنا وتبدأ بالصراخ وتنعتنا بالسوقيين!» انفجر ماركي بعنف .

Twitter: @alqareah

«حسنا ، إذا كنا سوقيين لعينين إلى هذه الدرجة ، فمن الأفضل أن تبقوا بعيدا! والأفضل من ذلك ، أن ترحلوا الآن!»

مرة أخرى ضحك جون ضحكة قصيرة تنم على الازدراء .

واستدار قائلا : «أنت لست فقط سوقيا ، بل من الواضح أنك متنمر فظيع عندما يكون هناك نساء وأطفال أبرياء من حولك» . تحسس المقبض وفتح الباب .

«تعالي يا إديث»

أخذت ابنتها بين ذراعيها ، وتوجهت خارجا في حين تبعها جون الذي ظل يحدق بازدراء في ماركي .

«انتظر لحظة!» خطا ماركي إلى الأمام وكان يرتجف قليلا ، وقد احتقن الدم في الوريدين الكبيرين في صدغه .

«هل تعتقد أن بإمكانك أن تفلت من هذا؟ أليس كذلك؟ مني أنا؟»

دون أن يتلفظ بكلمة ، خرج جون من الباب ، وتركه مفتوحا . كانت إديث ، لا تزال تبكي ، وقد توجهت ذاهبة نحو المنزل . بعد أن تبعها بعينيه حتى وصلت إلى ممشى منزلهما ، استدار جون مرة أخرى نحو المدخل المضاء أين كان ماركي ينزل ببطء الدرج الزلق . خلع معطفه وقبعته ، وقذف بهما قبالة الطريق على الثلج . ثم ، انزلق قليلا على الممشى المتجمد ، وتقدم خطوة للأمام .

في الضربة الأولى ، انزلق كلاهما وسقطا بشدة على

Twitter: @alqareah

الرصيف ، ثم لم ينهضا تماما حتى جذبا بعضهما مرة أخرى إلى الأرض . وعندما وجدا موطئ قدم أفضل على الثلج الرقيق إلى جانب المشى ، اندفعا على بعضهما البعض ، وكان كلاهما يتمايل بعنف ويعتصر الثلج من تحت قدميه فيغدو أشبه بعجينة من طين . كان الشارع خاليا إلا من لهاثهما القصير المتعب ، والصوت المبطن لأحدهما إذا وقع في الوحل الذائب ، لقد تقاتلا في صمت ، وكانت هيئاتهما تبدو واضحة لبعضهما البعض تحت ضوء القمر المكتمل فضلا عن النور المتوهج المنبعث من الباب المفتوح . لقد سقطا كلاهما معا عدة مرات ، بعد ذلك ولفترة من الوقت انتقل الصراع بعنف على العشب .

لمدة عشرة ، أو خمسة عشر ، بل لعشرين دقيقة كانا هناك ، يتقاتلان عبثا تحت ضوء القمر . لقد خلع كلاهما المعاطف والسترات بشيء من الاتفاق الصامت وعلى فترات فاصلة ، واتسخت قمصانهما من ظهورهما وصارت تقطر بللا . كانا كلاهما مجروحا وينزف وقد أنهكا حتى لم يتمكنا من الوقوف إلا بدعم متبادل من بعضهما ، فتأثير أدنى جهد لضربة كان سيلقي بهما معا على الأرض .

لكن لم يكن التعب هو الذي أنهى هذه القضية ، فعبثية هذا العراك كانت سببا لعدم توقفه ، بل توقفا بمجرد أن سمعا ، بينما هما يلتويان على الأرض ، وقع أقدام رجل قادم على

Twitter: @alqareah

الرصيف . فتدحرجا بشكل ما نحو الظل وتوقفا عندها عن القتال ، وتوقفا عن الحركة ، وعن التنفس أيضا ، واختبأ معا جاثمين كصبيين يلعبان الغميضة ، إلى أن مر وقع الأقدام . ثم ، راحا يترنحان على أقدامهما ، ونظرا إلى بعضهما كرجلين ثملين .

«عليّ اللعنة إن واصلت هذا الأمر مجددا» صرخ مايكي بغلظة

«أنا أيضا لن أواصل ثانية» قال جون أندروس . «لقد اكتفيت من هذا» .

من جديد نظرا إلى بعضهما البعض ، بعبوس هذه المرة ، كما لو كان كل واحد منهما يشتبه بالآخر في دفعه إلى استئناف القتال . بصق ماركي بعض الدم من شفته المجروحة ، ثم شتم بهدوء ، وعلى نحو مفاجئ التقط معطفه وسترته ، ونفض الثلج عنهما ، كما لو أن بللهما كان هو همه الوحيد في العالم .

«هل ترغب في الدخول لتغتسل؟» سأل فجأة .

«لا ، شكرا» ، قال جون . «يجب أن أذهب إلى البيت ، ستقلق زوجتي» .

هو أيضا حمل معطفه وسترته ثم معطف المطر والقبعة ، المبللة والتي تقطر عرقا ، فبدا له من السخف أنه كان يرتدي كل هذه الملابس قبل أقل من نصف ساعة .

Twitter: @alqareah

«حسنا! تصبح على خير» قال بتردد .

وفجأة سارا تجاه بعضهما البعض وتصافحا . لم تكن المصافحة روتينية : فقد أحاط جون أندروس بذراعه كتف ماركي ، وربت برفق على ظهره لبعض الوقت .

«لم تتأذى» قال بصوت منكسر .

«كلا ، وأنت؟»

«لم أتأذى أيضا»

«حسنا! أعتقد أنني سأقول طابت ليلتك» أضاف جون أندروس بعد دقيقة واحدة .

وانصرف جون أندروس وهو يعرج قليلا حاملا ثيابه على ذراعه ، . كان ضوء القمر لا يزال ساطعا عندما غادر الرقعة الداكنة من الأرض المداسة ومشى عبر العشب . وفي الأسفل عند المحطة ، على بعد نصف ميل ، كان بإمكانه سماع هدير قطار السابعة .

«ولكن لابد من أنك جننت» هتفت إيديث بانكسار .

«لقد ظننت أنك ستصلح كل الأمور هناك وتتصافحان ولهذا السبب عدت إلى البيت» .

«هل كنت تريدين منا إصلاح الأمر؟»

«بالطبع لا ، أنا لا أريد أن أراهم ثانية ، كنت متأكدة أن هذا ما كنت تنوي القيام به» . كانت تمسح على الكدمات على رقبته وظهره باليود بينما هو جالس بهدوء في الحمام الساخن .

Twitter: @alqareah

«سأتصل بالطبيب» قالت بإصرار «ربما تكون قد تعرضت لإصابة داخلية» .

هز رأسه : «كلا! لا أريد أن تعرف كل البلدة بما حصل»

«لم أفهم بعد كيف حدث كل هذا» .

«ولا أنا» ابتسم بتجهم «أعتقد أن حفلات الأطفال هذه هي أمور جد مضطربة .»

«حسنا! هناك أمر واحد» اقترحت إديث آملة «بالتأكيد أنا سعيدة لأنه لدينا شرائح لحم البقر في البيت من أجل عشاء الغد» .

«لماذا؟»

«لأجل عينيك ، بالطبع . أتعرف لقد كدت أن أطلب لحم العجل؟ أليس هذا الأمر الأكثر حظا؟»

بعد نصف ساعة ، كان مرتديا ثيابه ورقبته مجردة من أي سلسلة ، يحرك أطرافه بشكل تجريبي أمام المرآة .

«أعتقد أنني سأتعافى» قال مفكرا «لا بد من أنني أتقدم في السن» .

«هل تقصد بهذا أن بإمكانك أن تضربه في المرة المقبلة؟»

«لقد ضربته بالفعل» أعلن . «على الأقل ، ضربته بقدر ما ضربني . ولن تكون هناك أي مرة قادمة . ولن تنعتي الناس بالمبتذلين إطلاقا . وإذا وقعتي في أي مأزق ، ما عليك إلا حمل معطفك والعودة إلى البيت ، هل هذا واضح؟»

Twitter: @alqareah

«نعم ، يا عزيزي» قالت بخنوع «لقد كنت حمقاء جدا وقد فهمت الآن» .

في القاعة ، توقف فجأة أمام باب غرفة الصغيرة .

«هل هي نائمة؟»

«تبدو نائمة ، لكن يمكنك الذهاب وإلقاء نظرة خاطفة عليها ، فقط لتتمنى لها نوما هانئا»

مشيا على رؤوس أصابعهما وانحنيا معا على السرير . الصغيرة إيدي ، بخديها المتوردين دلالة على الصحة الجيدة ، ويديها الورديتين المتشابكتين معا بإحكام ، كانت تنام بعمق في الغرفة الهادئة والمظلمة . مد جون ذراعه عبر حاجز السرير ومرر يده برفق على شعرها الحريري .

«إنها نائمة» غمغم في حيرة .

«هذا طبيعي ، بعد ما مرت به هذا العصر»

«ميز أندروس» قالت الخادمة السوداء من الردهة في ما يشبه الهمس . «السيد والسيدة ماركي في الطابق السفلي ويرغبان في رؤيتك والسيد ماركي قد تعرض لضرب شديد ، يا سيدتي . يبدو وجهه كشريحة لحم مشوي والسيدة ماركي تبدو غاضبة جدا» .

«يا لها من عصبية فريدة!» قالت إديث بتعجب «فقط أخبريهم أننا لسنا في المنزل . لا أرغب في النزول لأي سبب» .

«من المؤكد أنك ستفعلين» كان صوته جادا وثابت .

Twitter: @alqareah

«ماذا؟»

«ستنزلين إلى الأسفل الآن ، وأكثر من ذلك ، عليك أن تعتذري عما قلته بعد ظهر هذا اليوم ، بغض النظر عما تفعله المرأة الأخرى . بعد هذا ليس عليك ان تريها أبدا مرة ثانية» .

«لماذا يا جون ، أنا لا أستطيع .»

«يجب أن تفعلي هذا . فقط تذكري أنها ربما قد كرهت القدوم إلى هنا ضعف كرهك للنزول إلى الطابق الأسفل» .

«ألن تأتي؟ هل يجب أن أذهب لوحدي؟»

«سأكون في الأسفل بعد دقيقة واحدة .»

انتظر جون أندروس حتى أغلقت خلفها الباب ، ثم مد يده إلى السرير والتقط ابنته ببطانيتها وكل شيء وضمها بإحكام بين ذراعيه وجلس على الكرسي الهزاز . تحركت قليلا فحبس أنفاسه ، لكنها كانت نائمة بعمق ، وفي لحظة كانت ترقد بهدوء في جوف مرفقه . ببطء أحنى رأسه إلى أن لامس خده شعرها اللامع .

«صغيرتي الحبيبة» همس «صغيرتي الحبيبة ، صغيرتي الحبيبة» .

وعرف جون أندروس أخيرا السبب الذي قاتل بوحشية من أجله في هذا المساء . إنه يملكه الآن ، ويمتلكه إلى الأبد ، وقد ظل لبعض الوقت جالسا يهتز ببطء شديد جيئة وذهابا في الظلام .

Twitter: @alqareah

أخبار باريس(*)
قبل خمس عشرة سنة

«لا ينبغي أن نأتي من نفس الاتجاه» قالت روث .

«هناك الكثـير من الناس يعلمون أننا ننزل في نفس الفندق .» ابتسم هنري هافن ديل ثم ضحكا معا .

كان صباحا مشرقا من صباحات نيسان ، ولقد غادرا لتوهما الشانزيليزيه متجهين نحو الكنيسة الإنجليزية .

قال هنري : «سأمشي على الجانب الآخر من الشارع ، ثم نلتقي عند الباب» .

«كلا ، لا يجب حتى أن نجلس معا . أنا كونتيسة ، اضحك كما تشاء ، لكن كل ما أقوم به سينشر في مجلة «البولفاردييه» اللعينة .»

توقفا للحظات . ثم أضاف «لكنني أكره أن أتركك ، تبدين جميلة جدا .»

همست له «أنا أيضا أكره تركك ، لم أكن أعرف أنك لطيف جدا ، لكن وداعا» .

(*) تعتبر هذه القصة آخر ما كتب فيتزجرالد ولهذا بقيت غير مكتملة .

Twitter: @alqareah

توقف ، في منتصف الطريق عند عبوره الشارع ، بسبب أصوات صاخبة من أبواق السيارات التي تعزف مقطوعة لديبوسي . وذكرها قائلا «نتناول الغداء» .

أومأت برأسها ، لكنها واصلت المشي على الرصيف وهي تنظر إلى الأمام مباشرة . وواصل هنري هافن ديل عبوره ثم سارع في مشيته ، ومن حين لآخر كان يلقي على المارة نظرة مبتهجة .

«أتساءل إن كانت لديهم هواتف في الكنائس» فكر في نفسه .

سيتفقد الأمر بعد انتهاء المراسم .

كان واقفا في صف خلفي ، يحاول لفت نظر روث من وقت إلى آخر ، ويغيظها . كان حفل زفاف عاديا جدا . وعندما وصلت العروس والعريس إلى نهاية الممشى ، أمسكت العروس بذراعه وأخذته معهما إلى الشارع .

«أليس ممتعا» قالت العروس . «فكر فقط في هذا يا هنري ، لقد كدت أن أتزوجك أنت!» .

ضحك زوجها .

«على ما الضحك؟» فكر هنري «كان بإمكاني أن أتزوجها إن كانت هي حقا المرأة المنشودة .»

وقال بصوت عال :

«يجب أن أجري اتصالا هاتفيا قبل حفل الاستقبال .»

Twitter: @alqareah

«الفندق مليء بالهواتف . تعال وقف بجانبي ، أريد أن تكون أول شخص يعرف» .

ولم يستطع ان يجري المكالمة الا بعد ساعة .

قالت شركة السفر العابرة للأطلسي : «لقد تم تأجيل رحلة باخرة «باريس» ، ولا يمكننا إعطائك وقتا محددا ، ليس قبل الرابعة» .

«أوه ، كلا ، مسيو ، هذا غير ممكن» .

انضم في بهو الفندق إلى حفلة لضيوف الزفاف ثم ذهب إلى فندق ريتز إلى جهة بار الرجال . لا يمكنك أن تكون برفقة النساء باستمرار .

«كم ستلبث في باريس يا هنري؟»

«هذا ليس سؤالا منصفا . استطيع دائما أن أخبرك كم سألبث في نيويورك أو لندن» .

تناول كأسي كوكتيل ، كلٌ في طاولة مختلفة . وقبل الواحدة بقليل ، عندما كانت الفوضى والجلبة في ذروتهما خرج متجها إلى شارع كامبون . لم تكن هناك سيارات أجرة ، فقد كان البوابون يتعقبونها على طول الطريق وصولا إلى شارع دي ريفولي . وانطلقت إحداها نحو الميناء مع بواب يعتلي مِرقَاتَها ، لكن امرأة جميلة لطيفة في الأخضر الباهت كانت هناك تنتظر .

قال هنري متوسلا وهو يركب السيارة «أوه ، اسمعي ، ألا

Twitter: @alqareah

يوجد أي احتمال في أن تمري قرب فندق «بوا» .» فأومأت برأسها وقد تولى معطفه الصباحي[١] مهمة التعريف به .

«سأتناول الغذاء هناك .»

«أنا هنري ديل» قال وقد رفع قبعته .

«أوه! وأخيرا إنه أنت» قالت بتلهف «أنا بيسي ليتون حرم وينغ . أنا أعرف كل أقرباءك» .

«أليس هذا لطيفا» ، هتف قائلا ووافقته .

قالت «سأفسخ خطبتي بمأدبة غذاء» وأضافت «وسأختارك» .

«هل حقا ستفسخين خطبتك؟»

«في مقهى دوفين ، من الواحدة إلى الثانية .»

«سأكون هناك ، ومن وقت لآخر سأنظر إليك» .

«ما أريد أن أعرفه هو ما إذا كان سيوصلني إلى المنزل بعد ذلك . أنا لست إيميلي بوستد» .

فقال بشيء من العمق :

«لا ، أنا سأفعل . قد تكونين ضعيفة أو شيء من هذا القبيل ، لذا سأبقي عيني عليك» .

(١) المعطف الصباحي هو لباس رسمي يرتديه الرجال عادة في المنسبات الرسمية كحفلات الزفاف . (المترجم)

Twitter: @alqareah

هزت رأسها .

«لا ، لن يكون هذا محترماً» قالت وأضافت «لكن سأكون هنا لأسابيع» .

رد قائلا : «بعد ظهر هذا اليوم ، ستصل السفينة التي سأغادر فيها .»

بعد لحظة تردد أجابت :

«أنا بالكاد أعرفك ، ليكن لقاؤنا على هذا النحو : إذا رأيتني أتحدث وأهز ملعقة فهذا يعني أني سأقابلك في ظرف خمس دقائق .»

كانت روث تنتظر على الطاولة . تحدث معها هنري بتكاسل لعشر دقائق ، متأملا وجهها والضوء الربيعي المسلّط على الطاولة ، ثم بلمحة عرضية حدد موقع بيسي وينغ عبر الغرفة ، وكانت منغمسة في حديث مع رجل في السادسة والعشرين ، أي في نفس عمره .

«كل ما نملكه الآن هو فترة ما بعد الظهيرة ، ومن ثم الوداع» قالت روث .

«ولا حتى ما بعد الظهيرة» أجاب برسمية «سأستقل السفينة بعد ساعة» .

«أنا آسفة يا هنري . ألم يكن الأمر ممتعا؟»

«بلى ، لقد كان ممتعا جدا ، فعلا ، ممتعا جدا» وتملكه شعور صادق بالحزن .

Twitter: @alqareah

ثم قالت وقد استجمعت بعض قوتها : «لحسن الحظ أنني قد أجلت بعض الأمور المهمة . تذكرني عندما تذهب إلى الأوبرا أو إلى سانت جيرمان» .

«سأبذل قصارى جهدي لأنساكِ» .

بعد ذلك بقليل رأى ملعقة تُلَوّح .

«دعيني أذهب أولا» قال «لا يمكنني بطريقة أو بأخرى أن أحتمل الجلوس هنا ورؤيتك تغادرين» .

«حسنا ، سأجلس هنا وأفكر .»

كانت بيسي تنتظر تحت شجرة الكمثرى في الجهة المقابلة ، واندسا بسرعة معا في سيارة أجرة كطفلين هاربين .

«هل كان الأمر سيئا؟» سأل «لقد شاهدتك . كانت هناك دموع في عينيه .»

أومأت برأسها .

«لقد كان الأمر سيئا جدا .»

«لماذا فسخت الخطبة؟»

«لأن زواجي الأول كان فاشلا . كنت محاطة بالكثير من الرجال لدرجة أنني عندما تزوجت لم أكن أعرف أيهم أحب أكثر . لذا لم يبدو لي أن هناك أي جدوى إن كنت تفهم قصدي . لماذا كان يجب أن يكون هيرشل وينغ؟»

«ماذا عن هذا الرجل الآخر؟»

«كان يمكن أن يكون الأمر بنفس الطريقة ، لكن هذه المرة

Twitter: @alqareah

كان سيكون خطئي لأنني أعرف» .

جلسا في غرفة الضيوف المريحة ذات الطراز الأمريكي بشقتها وتناولا معا القهوة .

ثم قال : «امرأة في جمالك ، لابد وأنها قد مرت عليها أوقات كثيرة كهذه . عندما لم يكن هناك رجل ، بل العديد من الرجال» .

«كان هناك رجل ذات مرة» قالت «عندما كنت في السادسة عشرة . كان يشبهك ، ولم يكن يحبني .»

قام هنري وتوجه نحوها ليجلس إلى جانبها على الأريكة .

قال هنري «هذا يحدث أيضا» وأضاف «ولعل الطريق الأسلم هو السفن التي تمر في الليل .»(١)

تراجعت قليلا .

«لا أريد أن أكون من الطراز القديم لكننا لا نعرف بعضنا البعض» .

«بالتأكيد نعرف بعضنا- تذكري- لقد التقينا هذا الصباح .»

ضحكت .

(١) صورة بيانية وردت في أحد قصائد الشاعر الأمريكي «هنري وادزورث لونغفيلو» (١٨٠٧-١٨٨٢) و صارت تستعمل فيما بعد للدلالة على العلاقات العابرة . (المترجم)

Twitter: @alqareah

«أنت بمثابة العقار المسكن للخطوبة المفسوخة؟»

«الفعّال جدا منه» رد قائلا .

كان الهدوء يسود الغرفة ، وكانت زخرفات الطواويس التي على الستائر تهتز على وقع رياح نيسان .

فيما بعد وقفا بالشرفة ، ذراعاهما متشابكان ، يتأملان قوس النصر عبر بحر ممتد من أوراق الشجر الخضراء .

«أين هو الهاتف؟» سأل فجأة . «لا عليك ، أنا أعرف» .

ذهب إلى الداخل ، والتقط الهاتف بجانب سريرها .

«الشركة العامة؟» . . . ماذا عن القطار من باخرة «*باريس*؟»

«أوه ، لم ترسو بعد بهافر ، موسيو ، اتصل في ساعات مختلفة . التأخير حدث في ساوثامبتون» .

بعودته إلى الشرفة قال هنري :

«حسنا! لنذهب إلى المعرض .»

قالت «لا بد لي من ذلك ، فكما ترى هذه المرأة ، ماري توليفر التي حدثتك عنها ، هي الشخص الوحيد الذي يمكنني الذهاب إليه بعد ما فعلته في مأدبة الغذاء ، ستتفهم الأمر .»

«وهل ستتفهم أمرنا؟»

«لن تعلم أبدا . لقد كانت مَثَلي الأعلى منذ كنت في السادسة عشر» .

عندما التقيا بها في ردهة فندق كريون فكر هنري أنها لم

Twitter: @alqareah

تكن أكبر بكثير من بيسي . لقد كانت امرأة بشعر بني مذهب ، أنيقة جدا أو كما يسميها الفرنسيون «soignée» ، ما يعني نظيفة وأكثر . كان معها رسام أمريكي ونحات نمساوي ، واستنتج هنري أن كلاهما كان مغرما قليلا بها ، أو يستغلانها لأجل المال ، فثراءها ظاهر في سيارة رونو الفاخرة التي تُقلهم إلى معرض فنون الديكور المقام حول نهر السين .

ساروا جنبا إلى جنب عبر هذا المعرض ، تجاوزوا حواجز الكروم ، المعدن الذي شكل تجارة مزدهرة كان من المفترض أن تغير أثاث حقبة بأكملها .

لم يكن ينقص هنري الذوق الفني ، فقد كان ذات يوم محررًا فني بمجلة هارفرد لامبوون الساخرة ، لكنه فضل أن يترك الحديث للرسام والنحات . وعندما جلسوا لتناول بعض المقبلات بعد ذلك ، جلست بيسي قريبة جدا منه ، فنظرت إليها ماري توليفر وابتسمت ، ثم تطلعت في هنري بنظرة تقييمية .

وسألت «هل تعرفان بعضكما من مدة طويلة؟» .

«منذ سنوات» قال هنري ، ثم أضاف «إنها بمثابة أخت لي ، والآن لا بد لي أن أترككم ، بعد هذه الأمسية الساحرة» .

رمقته بيسي بنظرة تأنيب ، وشرعت في النهوض معه مسيطرة على نفسها .

قال بلطف «لقد أخبرتك أن هناك سفينة» .

Twitter: @alqareah

«باخرة» ، أجابت .

عندما ابتعد رأى الرسام ينتقل إلى الكرسي الذي أخلاه بجانبها .

كانت باخرة *باريس* لاتزال متأخرة في *ساوثامبتون* وفكر هنري فيما سيفعله . عندما لا تقوم بأي شيء على نحو ممتع لفترة طويلة فإنه من الصعب أن تشغل الساعات الضائعة ، والأمر أكثر صعوبة منه بالنسبة لشخص يعمل . لو كان في بلاده لكان بإمكانه ممارسة الرياضة ، أما هنا فلا يوجد سوى وجوه حول الطاولات . ولابد من استمرار وجود وجوه حول الطاولات .

لقد أصبحت عبئا فظيعا ، فكر في نفسه . يجب أن أفكر في الواجب على الأقل .

استقل سيارة أجرة لينتقل إلى الضفة الشمالية ، إلى شارع «نوتردام دي شون» ليزور طفلة كان قد وهبها بعد الحرب . تلك الصغيرة اليتيمة الجميلة التي كانت تتسول أمام مقهى «دوم» ، وكان قد أرسلها لمدة ثلاث سنوات إلى الدير . كان يراها مرة واحدة أو مرتين في كل صيف ، ولم يرها الآن ، منذ قرابة سنة .

«هيلين في الخارج» قال البواب الجديد الذي لا يعرفه هنري .

«كيف لي أن أخمن أين هي؟ هل هي في مقهى دي ليلاس؟أم ليبس؟»

Twitter: @alqareah

انصدم قليلا ، ثم استعاد طمأنينته شيئا فشيئا عندما وجدها في مقهى ليبس ، الموضع المعروف بتقديم الجعة والذي كان ، على الأقل ، خطوة أكثر احتراما من مقهى القبة أو روتوند . تركت الأمريكيين اللذين كانت تجلس معهما وعانقته بخجل .

«ما الذي تنوين فعله ، هيلين؟» سألها بلطف «ما المهنة التي علمتك إياها الراهبات؟»

هزت كتفيها وقالت :

«سأتزوج أمريكيا غنيا إن استطعت ، هذا الشاب الذي تركته للتو على سبيل المثال ، هو أحد موظفي صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون»[1] .

«المراسلون ليسوا أغنياء» قال موبخا إياها «وحتى هذا الشاب لا يبدو واعدا جدا» .

«أوه ، هو ثمل الآن» أجابت هيلين «لكنه في بعض الأوقات يكون كل ما تتمناه الواحدة» .

لقد كان هنري رجلا رومانسيا منذ حوالي أربع سنوات ، مباشرة بعد الحرب . وها قد رباها بلا فائدة لتتزوج أو لأي شيء آخر . وفوق ذلك كانت الفكرة في ذهنه ، ماذا لو أنها تمكنت من الحفاظ على جمالها الفائق . الآن وهو يتطلع في وجهها يشعر بموجة من الغيرة تجاه المراسل .

---

٦ - صحيفة امريكية تأسست سنة ١٩٢٤ .

Twitter: @alqareah

في مثل سنك

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

دخل توم سكويرز متجر العقاقير لشراء فرشاة أسنان ، وعلبة طلق ، وغسول للغرغرة ، وصابون قشتالي وملح ابسوم وعلبة سجائر . كان يمسك القائمة في يده في انتظار دوره ، وقد أكسبه العيش وحيدا لعدة سنوات نوعا من النظامية .

كان أسبوعَ عيد الميلاد ، وقد بلغ سُمك الثلوج في مينيابوليس القدمين . نفض توم بعصاه طبقتين نظيفتين من الثلج عن أعلى حذاءه ، ثم رفع بصره فرأى الفتاة الشقراء .

كانت شقرتها نادرة ، حتى في تلك الأرض الموعودة من الدول الاسكندينافية ، حيث لا يندر وجود الشقراوات الجميلات . وكان لخديها وشفتيها لون دافئ ، ويداها الورديتان الصغيرتان اللتان كانتا تثنيان السجائر . كان شعرها المجدول في ضفائر طويلة ملتوية حول رأسها ، لامعا ومفعما بالحيوية . وبدت فجأة لتوم أنظف شخص عرفه ، وقد حبس أنفاسه بينما كان يتقدم إلى الأمام ونظر في عينيها الرماديتين .

«علبة من الطلق» .

«من أي نوع؟»

«أي نوع . . . لا بأس به .»

Twitter: @alqareah

أعادت النظر إليه دون وعي على ما يبدو ، وبينما اختفت القائمة ، تسارع قلبه معها بشدة .

«أنا لست كبيرا» أراد أن يقول «صحيح أنني في الخمسين لكنني أصغر من معظم الرجال الذين هم في الأربعين . ألا أهمك على الإطلاق؟»

لكنها قالت فقط «أي نوع من غسول الغرغرة؟»

فأجاب «بما تنصحينني؟» .

بالكاد وبمشقة أبعد عينيه عنها ، وخرج وركب عربته .

«لو تعلم هذه الشابة الحمقاء ما يمكن أن يفعله رجل عجوز معتوه مثلي لأجها» فكر بسخرية

«والعوالم التي بإمكاني أن أفتحها لها!» .

وبينما كان يقود سيارته تحت شفق الشتاء ، تتبع قطار الأفكار الذي أوصله إلى استنتاج غير مسبوق . ربما كان هذا الوقت من اليوم سببا محفزا لذلك ، نظرا لواجهات المتاجر المتوهجة في هذا الجو البارد ، والأجراس الرنانة لعربات التوزيع ، والبريق الأبيض الذي تخلفه الرفوش على الأرصفة ، والبعد الهائل للنجوم التي أعادت له إحساس ليال أخرى تعود لثلاثين سنة مضت . للحظة مرت الفتيات اللاتي عرفهن كأشباح وقورة ومتبلدة خرجت من ذواتها الحالية ومرت أمامه مرتعدة ببرود وضحك مغري ، حتى سرت قشعريرة لذيذة على طول عموده الفقري .

Twitter: @alqareah

«شباب! شباب! شباب!» صرخ مناجيا مع افتقار واع للجدة ، وكرجل قاس ومستبد إلى حد ما وبلا أخلاق على الإطلاق ، قرر العودة إلى متجر العقاقير ليطلب عنوان الشقراء . لم يكن هذا النوع من الأمور التي قد يقوم بها ، وبالتالي فقد تلاشت النية النصف مبيتة ؛ وبقيت الفكرة .

«الشباب ، بحق السماء ، الشباب!» كررها متمتما «أريدها بالقرب مني ، ومن حولي ، فقط مرة أخرى قبل أن أصبح كبيرا جدا لأهتم بالأمر» .

كان طويل القامة هزيلا ووسيما ، ذو وجه رياضي برونزي مشرئب بحمرة ، وشارب خفيف أشيب . كان في الماضي واحدا من أفضل العشاق في المدينة ، ومنظما لحفلات الكوتيلون[1] والحفلات الخيرية الراقصة ، ويحظى بشعبية كبيرة بين الرجال والنساء ، ومن مختلف الأجيال منهم . بعد الحرب أحس فجأة بضآلة قيمته ، فتوجه إلى الأعمال التجارية ، وخلال عشر سنوات جمّع ما يقرب من مليون دولار . لم يكن توم سكويرز بالمستقرئ ، لكنه أدرك الآن أن عجلة حياته قد دارت مرة أخرى ، وقد أعادت إلى السطح أحلاما وتطلعات منسية لكنها مألوفة .

(١) حفلات راقصة كانت تقام على شرف الفتيات الارستقراطيات اللواتي بلغن سن النضج و ذلك بهدف التعريف بهن في وسط المجتمع الأرستقراطي .

Twitter: @alqareah

عند دخوله إلى منزله ، التفت فجأة لتفقد كومة الدعوات المهملة لمعرفة ما إذا دعي إلى حفل راقص الليلة أم لا .

طوال عشاءه الذي تناوله وحيدا في «نادي داونتاون» ، كانت عيناه نصف مغلقتين وعلى وجهه كانت ترتسم ابتسامة باهتة . لقد كان يتمرن حتى يتمكن من الضحك على نفسه دون ألم ، إن لزم الأمر .

«لا أعرف حتى ما الذي يتحدثون عنه» اعترف «إنهم يداعبون - سمسار بارز يحضر حفلة مداعبة(*) مع شابة . ما هي حفلة المداعبة؟ هل يقدمون فيها مقبلات؟ هل يجب أن أتعلم العزف على الساكسفون؟» .

وقد عادت هذه الأمور لتطفو من جديد إلى سطح حياته بعد أن كانت مترسبة في القعر . لقد كانت مساءل جادة .

عند الساعة العاشرة اتجه نحو «نادي الكلية» لحضور حفلة رقص خاصةٍ بنفس إحساس دخول عالم جديد والذي راوده في الماضي عندما ذهب إلى المعسكر التدريبي وهو في السابعة عشر . تحدث إلى المضيفة التي كانت من جيله وابنتها ، التي من الواضح أنها تنتمي إلى جيل آخر ، ثم جلس في زاوية حتى يتمكن من التأقلم .

(*) هي ظاهرة أمريكية ، انتشرت سنة ١٩٢٠ ، وهي عبارة عن حفلات تقام خصيصاً لأجل تبادل القبل والمداعبات بين الشبان والفتيات .

Twitter: @alqareah

لم يبقى وحيدا لفترة طويلة ، فقد لاحظ بلطف وجوده شابٌ ساذج يدعى ليلاند جاك ، والذي كان يسكن في الجانب الآخر من الشارع الذي يسكن به ، فأتى إليه ليضفي على حياته البهجة . لقد كان شابا شديد البلاهة ، وللحظة ، كان توم منزعجا منه ، لكنه قدر بمكر أنه قد يكون ذا فائدة .

«مرحبا ، سيد سكويرز ، كيف حالك يا سيدي؟»

«بخير ، شكرا ليلاند . يا له من حفل راقص!» .

وكرجل واحد في العالم مع آخر ، جلس السيد جاك ، أو تمدد على الأريكة وأوقد- أو هكذا بدا لتوم- ثلاثة أو أربع سجائر في آن واحد .

«كان عليك ان تكون هنا ليلة الأمس ، سيد سكويرز . أوه يا رجل ، لقد كانت حفلة رائعة! عند آل كولكين ، على الخامسة والنصف!»

«من هي تلك الفتاة التي تغير شريكها كل دقيقة؟» سأل توم «كلا ، بل تلك التي ترتدي الأبيض وتجتاز الباب .»

«هذه أني لوري» .

«ابنة آرثر لوري؟»

«نعم .»

«تبدو ذات شعبية .»

«تقريبا هي الفتاة الأكثر شعبية في المدينة ، عموما ، في الحفلات الراقصة .»

Twitter: @alqareah

«لا تحظى بشعبية كبيرة إلا في الحفلات الراقصة؟»

«أوه ، بالتأكيد ، لكنها تتسكع مع راندي كامبل طوال الوقت» .

«من هو كامبل؟»

«D. B.»

لقد صارت هناك أسماء جديدة في المدينة خلال العقد الماضي .

«إنها علاقة شاب وفتاة» مسرورا بهذه العبارة ، حاول جاك تكرار ذلك : «واحدة من تلك العلاقات بين شاب وفتاة ، علاقات الشباب والفتيات» ثم توقف عن ذلك وأشعل المزيد من السجائر ، بعد أن سحق المجموعة الأولى منها في حجر توم .

«هل تشرب؟»

«ليس على وجه الخصوص ، على الأقل لم يسبق لي وأن رأيتها ثملة . . . ، وهذا الذي يقاطعها الآن هو راندي كامبل» .

كانا ثنائيا لطيفا ، فقد كان جمالها يتألق سحرا أمام قوته وبنيته الفارعة ، كانا يرفرفان برهافة ، كشخصين في حلم جميل ممتع . اقترابا منه وأعجب توم باللمسة الخفيفة للبودرة على نضارتها ، والحلاوة المتحفظة لابتسامتها ، هشاشة جسدها الذي نحتته الطبيعة ليكون برعما يَعِدُ بزهرةٍ . كانت عيناها البريئتان والعميقتان بلون بني ، على ما يبدو ، لكن بلون

Twitter: @alqareah

بنفسجي تقريبا تحت الضوء الفضي .

«هل ستغادر هذه السنة؟»

«من؟»

«الآنسة لوري» .

«نعم .»

وبالرغم من أن فتنة الفتاة قد أثارت اهتمام توم ، إلا أنه لم يكن قادرا على تخيل نفسه واقفا في طابور المجاملين والممتنين الذين يتعقبونها في جميع أنحاء القاعة . من الأفضل أن يلتقي بها عندما تنتهي العطلة ويكون معظم هؤلاء الشبان قد عادوا إلى كلياتهم «حيث ينتمون» . لقد كان توم سكويرز كبيرا بما يكفي على الانتظار .

وانتظر لأسبوعين حين كانت المدينة تغرق في منتصف الشتاء الشمالي اللانهائي ، وكانت السماء الرمادية أكثر ألفة من السماء ذات اللون الأزرق المعدني ، وكان نور الغسق يبعث لمحة مطمئنة على استمرارية الابتهاج الإنساني ، وكان أكثر دفئا من فترة الظهيرة التي تعوزها أشعة الشمس . فقد معطف الثلج كيّه وأصبح متسخا ومتهالكا ، وتجمدت آثار العجلات في الشوارع ؛ بدأت بعض المنازل الكبيرة في شارع كريست تُخلى من سكانها الذين سافروا نحو الجنوب . في تلك الأيام الباردة دعا توم آني ووالديها لحضور حفلة العزاب الراقصة بصفتهم ضيوفه .

Twitter: @alqareah

كانت عائلة «لوري» عائلة عريقة في مينيابوليس، وقد تعرضت لبعض الضائقات ومسها الفقر منذ الحرب. السيدة لوري، في مثل سن السيد توم، لم تفاجئ بأن عليه أن يرسل إلى الأم والابنة زهور السحلبية ويصطحبهم إلى شقته لتناول عشاء فاخر من الكافيار الطازج، والسمان والشمبانيا. لم تكن آني تراه إلا باهتا، فهو يفتقر إلى الحيوية، لكونه مسنا مقارنة بشاب. لكنها لاحظت اهتمامه بها، وقامت لأجله بالطقوس التقليدية لفتاة جميلة، الابتسامات، اللطف، الانتباه بعيون متسعة، مع مظهر محفوظ بلطف تحت هذا الضوء أو ذاك. في الحفلة رقص معها مرتين ورغم أنها كانت مغتاظة من هذا، فقد كانت تشعر بالإطراء أن مثل هذا الرجل المحنك- لقد أصبح الآن محنكا بعد أن كان مجرد رجل عجوز- قد اختصها. وقد قبلت دعوته إلى الحفلة السيمفونية في الأسبوع الموالي، إذ أنه من الفظاظة أن ترفض.

كانت هناك عدة «دعوات لطيفة» كهذه. بينما كانت تجلس بجانبه، غفت في الظل الدافئ لبرامس[1] وفكرت في راندي كامبل وضبابيات رومانسية أخرى قد تظهر في الغد. وذات ظهيرة، حين أحست على غير العادة بالمرح، فأثارت توم

(١) يوهانِسْ برامس (٧ مايو ١٨٣٣ - ٣ أبريل ١٨٩٧) مؤلف موسيقي ألماني.

Twitter: @alqareah

عمدا ليقبلها في الطريق إلى البيت ، لكنها أرادت أن تضحك عندما أمسك يديها وقال لها بحماس أنه واقع في غرامها .

«ولكن كيف أمكنك ذلك؟» احتجت «حقا ، لا يجب أن تقول مثل هذه الأمور المجنونة . لن أخرج معك بعد اليوم ، وستأسف لهذا لاحقا» .

بعد بضعة أيام تحدثت إليها والدتها بينما كان توم ينتظر في سيارته خارجا :

«من هذا ، آني؟»

«السيد سكويرز» .

«أغلقي الباب دقيقةً . أنت تقابلينه كثيرا .»

«لما لا؟»

«حسنا ، يا عزيزتي ، انه في الخمسين من العمر» .

«لكن يا أمي ، لا يكاد يوجد أي شخص آخر في المدينة .»

«لكن لا يجب أن يكون لديك أي أفكار سخيفة عنه .»

«لا داعي للقلق . في الواقع ، انه يصيبني بالملل الشديد معظم الوقت» ثم توصلت إلى قرار مفاجئ : «لن أقابله مجددا ، فقط لا يمكنني التملص من الخروج معه هذه الظهيرة» .

في تلك الليلة ، عندما وقفت أمام باب منزلها محاطة بذراع راندي كامبل ، لم يكن لتوم وقبلته الوحيدة أي وجود بالنسبة لها .

Twitter: @alqareah

«أوه ، أنا أحبك جدا» همس راندي «قبليني مرة أخرى .»

والتقى خداهما الباردان وشفاههما الدافئة في ظلمة الليل الباردة ، وعندما رأت القمر الجليدي ظاهرا من فوق كتفه ، عرفت آني أنها كانت له بالتأكيد ، ثم سحب وجهه للأسفل ، وقبلته مرة أخرى ، وهي ترتجف بالعاطفة .

«متى ستتزوجينني إذا؟» همس .

أجابت «عندما يكون في وسعك ووسعنا ذلك؟»

«ألا يمكنك أن تعلني خطبتنا؟ لو تعلمين تعاسة أن يأخذك شخص آخر مني ، ومن ثم تمارسين معه الحب» .

«أوه ، راندي ، أنت تطلب الكثير .»

«انه أمر فظيع جدا أن أقول لك تصبحين على خير . هل يمكنني الدخول لدقيقة؟»

«نعم .»

بينما كانا جالسين بالقرب من بعضها البعض في نشوة ما قبل الاحتراق ، يطفئان لهيبهما ، كانا غافلين عن أن مصيرهما المشترك يجري تدبيره ببرود من قبل رجل في الخمسين يتمدد في حمام ساخن بعيدا في أحد الأبنية .

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني

خمن توم سكويرز من خلال لطف آني المبالغ فيه وسلوكها المستقل في تلك الظهيرة انه فشل في جذب اهتمامها ، وكان قد وعد نفسه في مثل هذا الاحتمال أنه سيتخلى عن هذه المسألة برمتها ، لكن لا مزاج له في هذا الآن . في الحقيقة لم يكن يرغب في أن يتزوجها ؛ لكنه أراد ببساطة أن يراها ويقضي معها بعض الوقت ؛ وبالعودة للحظة قبلتهما العرضية العذبة والتي كان يشوبها شيء من الشهوة رغم خلوها التام من المشاعر ، فقد كان التخلي عنها ليكون سهلا ، إذ انه قد تجاوز عمر الرومانسية ؛ لكن ومنذ تلك القبلة صار التفكير بها يجعل قلبه يرتفع في صدره ببضع إنشات ويخفق هناك بثابت سرعة .

«لكن هذا هو الوقت المناسب للخروج من حياتها» قال لنفسه «فنظرا لسني ؛ لا يحق لي فرض نفسي عليها» . جفف جسده ، وسرح شعره أمام المرآة ، وعندما وضع المشط قال بحزم : «انتهى الموضوع» .

بعد أن ظل يقرأ لمدة ساعة أطفئ المصباح بحركة خاطفة وأعاد بصوت عال : «انتهى الموضوع» . بعبارة أخرى ، لم ينتهي الموضوع على الإطلاق ، ولم تكن طقطقة الماديات لتُنهي آني

Twitter: @alqareah

لوري كما لو كانت قرار عمل يمكن أن يُتخذ بنقرة قلم على الطاولة .

«سأدفع هذا الأمر إلى أبعد قليلا» قال لنفسه حين كانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف ؛ وعلى هذا الاعتراف استسلم للنوم .

في الصباح كانت الفكرة قد انحسرت إلى حد ما ، لكن قبل الساعة الرابعة زوالا عادت واجتاحته مرة أخرى- كان سيتصل بها ، عندما سمع صوت وقع أقدام امرأة تجتاز مكتبه ، كان وقع أقدمها . و ربما كان الثلج يهطل في الخارج على وجهها المتورد .

«لا تزال أمامي الخطة الصغيرة التي فكرت فيها ليلة أمس» قال في نفسه «خلال عشر سنوات سأبلغ الستين ، ولن يبقى لي الشباب ، ولا الجمال بعد ذلك» .

في نوع من الذعر أخذ ورقة من المفكرة وحرر بعناية رسالة إلى والدة آني ، يطلب فيها السماح له التقرب من ابنتها . وأخذها بنفسه إلى الردهة ، لكن قبل أن يدس الرسالة مزقها وألقى بالقصاصات في المبصقة .

«لا يمكنني القيام بمثل هذه الحيلة الماكرة» قال لنفسه «في مثل سني هذه» لكن هذا الثناء الذاتي كان سابقا لأوانه ، لأنه أعاد كتابة الرسالة وإرسالها بالبريد قبل مغادرته مكتبه هذه الليلة .

في اليوم التالي وصل الرد الذي كان يتوقعه ، وكان

Twitter: @alqareah

بإمكانه توقع كلماته مسبقا . لقد كان رفضا مقتضبا وساخطا
وانتهى على هذا النحو :
أعتقد أنه من الأفضل أن لا تتقابل وابنتي أبدا .
المخلصة
مابل تولمان لوري

«والآن» فكر توم بهدوء «سنرى ما الذي ستقوله الفتاة على هذا» . ثم كتب ملاحظة لآني قال فيها أن رسالة أمها قد فاجأته ، لكن ربما كان من الأفضل أن لا يلتقيا مجددا ، نظرا لموقف أمها .

وجاءه رد آني متحديا أمر والدتها : «نحن لسنا في العصور الوسطى ، وأنا سأقابلك متى شئت» . ثم حددت موعدا للقائهما بعد ظهر اليوم الموالي . وقد أدى قصر نظر والدتها إلى ما فشل هو عن تحقيقه مباشرة ، ففي حين كانت آني على وشك التخلي عنه ، قررت الآن أن لا تفعل شيئا من هذا القبيل . والتكتم الذي نتج عن رفض أهلها أضفى على علاقتهما ببساطة الإثارة المفقودة . وفي عمق شهر فبراير من هذا الشتاء الكئيب واللامنتهي ، كانت تلتقي به في كثير من الأحيان وعلى أساس جديد . أحيانا يتجهان إلى دار السينما بسان بول أو لتناول العشاء ، وفي بعض الأحيان يركنان بعيدا في الشارع ويمكثان في سيارته ، في حين يغشى الصقيع

Twitter: @alqareah

المتجمد الزجاج الأمامي حد التعتيم ويكسو الثلج المصابيح بطبقة كالفراء . وَكثيرا ما كان يحضر شيئا خاصا للشرب ، ما يكفي لجعلها مبتهجة ، لكن بعناية ودون مبالغة ، فقد شاب مشاعره نحوها نوع من العاطفة الأبوية .

صارحها وأخبرها أن والدتها هي من دفعتها عن غير قصد نحوه ، لكن آني اكتفت بالضحك من نفاقه . لقد حظيت بوقت أفضل معه أكثر من أي شخص عرفته إطلاقا . وبدلا من المطالب الأنانية لرجل أصغر سنا ، أظهر لها تقديره الأكيد . ماذا لو كانت عيناه متعبتان ، ووجنتاه مترهلتان ومليئتان بالعروق ، في حين أنه يمتلك إرادة رجولية قوية . وعلاوة على ذلك ، كانت تجربته بمثابة نافذة تطل منها على عالم أوسع وأثرى . في حين أنها ستشعر بعناية أقل مع راندي كامبل في اليوم الموالي ، وأنها أقل قيمة ، وليست فريدة .

لقد كان توم الآن وعلى نحو غامض هو الساخط . فقد تحصل على ما أراده ، وصار شبابها بجانبه ، وأحس أن أي شيء إضافي قد يكون خطأ . فحريته كانت قيّمة بالنسبة له وليس بإمكانه إلا منحها بضعة أعوام قبل أن يشيخ ، لكنها أصبحت شيئا ثمينا بالنسبة له وقد أدرك أن الانجراف لم يكن مناسبا .

وفي أحد الأيام من أواخر فبراير ، كان واضحا أن هذه المسألة قد خرجت عن السيطرة .

Twitter: @alqareah

توجها من سانت بول إلى المنزل وتوقفا في نادي الكلية لتناول الشاي . شقا طريقهما معا عبر الثلوج التي غطت المشى وسدت المدخل . وكان الباب دوارا ، فاقترب شاب نحوه وولجه ، حينها وصلت إلى أنفيهما رائحة البصل والويسكي . ودار الباب مرة أخرى بهما ، فعاد الشاب إلى داخله ، وواجههما ، لقد كان راندي كامبل ، وكان وجهه محتقنا ، وعيناه متبلدتان وقاسيتان .

«مرحبا أيتها جميلة» قال وقد اقترب من آني .

«لا تقترب أكثر» ، اعترضت برفق «تفوح منك رائحة البصل» .

«وفجأة أصبحت مميزة»

«دائما ، أنا دائمة مميزة» وتراجعت بحركة طفيفة نحو توم .

«ليس دائما» قال راندي ببغض . ثم أضاف بتأكيد أكثر وبنظرة خاطفة على توم : «ليس دائما .»

وبدا بملاحظته هذه أنه ينضم للعالم الخارجي العدائي .

وتابع قائلا : «سأعطيك معلومات سرية ، والدتك في الداخل» .

وأصابت توم الغيرة المرضية التي تعود لجيل آخر بشكل طفيف ، كاعتراض طفل ، ولكن بدا عليه الانزعاج عند سماعه لهذا التحذير الوقح .

«هيا ، آني» قال بفظاظة «سندخل .»

Twitter: @alqareah

وبنظرتها التي تفادت راندي بارتباك ، اتبعت آني توم إلى القاعة الكبرى .

لم تكن القاعة مكتظة ؛ ثلاث نسوة في منتصف العمر يجلسن قرب النار . وللحظة تراجعت آني ثم توجهت نحوهن .

«مرحبا ، أمي . . . السيدة ترامبل . . . العمة كارولين» .

ردت عليها السيدتان ، حتى أن السيدة ترامبل حيّت بلطف توم . لكن والدة آني قامت دون أن تنبس بكلمة ، وعيناها متجمدتان ، وفمها منقبض . وقفت للحظة تحدق في ابنتها ، ثم استدارت فجأة وغادرت الغرفة .

وجد توم وآني طاولة في الجانب الآخر من القاعة .

«ألم تكن بغيضة؟» قالت آني وهي تتنفس بصعوبة ، لكنه لم يجب .

«لم تحدثني منذ ثلاثة أيام» وانفجرت فجأة بالكلام : «أوه ، كم يمكن للناس أن يكونوا تافهين! كنت سأذهب لأغني في افتتاح استعراض رابطة الشبان ، وبالأمس جاءت إلي قريبتي ماري بيتس ، القائدة ، وقالت أنني لا أستطيع» .

«لما لا؟»

«لأنه لا يجدر بممثلة رابطة الشبان أن تتحدى والدتها . وكأنني طفلة شقية!»

حدق توم في صف من الأكواب على رف الموقد ، تحمل اثنين أو ثلاثة منها اسمه .

Twitter: @alqareah

«ربما كانت على حق» قال فجأة ، ثم أضاف «بما أنني قد بدأت في إلحاق الضرر بك فقد حان الوقت للتوقف .»

«ماذا تقصد؟»

وبسماع صوتها المصدوم ضخ قلبه سائلا دافئا سرى في جسده ، لكنه أجاب بهدوء : «تذكرين أنني أخبرتك بأني كنت ذاهبا إلى الجنوب؟ حسنا ، سأذهب غدا» .

كانت هناك حجة ، لكن كان قد اتخذ قراره . في مساء اليوم التالي ، بكت في المحطة وتمسكت به .

«شكرا على أسعد شهر قضيته خلال سنوات» قال .

«لكنك ستعود يا توم؟»

«سأمكث شهرين في المكسيك ، ثم أتوجه إلى الشرق لبضع أسابيع» .

حاول أن يبدو سعيدا ، لكن المدينة المتجمدة التي كان يهم بمغادرتها بدت مزهرة . وكانت أنفاسها المتجمدة كزهرة في الهواء ، وغرق قلبه إذ أدرك أن رجلا شابا كان ينتظر خارجا ليقلها إلى منزلها في سيارة مزينة بالزهور .

«إلى اللقاء آني ، إلى اللقاء أيتها الحلوة!»

بعدها بيومين قضى الصباح في هيوستن برفقة هال ميغز ، كان زميلا له بجامعة ييل .

«أنت محظوظ مقارنة برجل عجوز» قال ميغز في مأدبة الغداء «لأنني سأعرفك بأظرف وأصغر رفيق سفر قد تقابله

Twitter: @alqareah

يوما ، والذي سيرافقك طوال الطريق إلى مكسيكو .»

كانت السيدة المعنية سعيدة حقا لمعرفتها في المحطة أنها لن تعود لوحدها . تناولت هي وتوم وجبة العشاء معا على متن القطار ، وظلا يلعبان الورق لمدة ساعة . لكن ، على الساعة العاشرة ، عندما كانت تقف بباب الحجرة ، عادت إليه فجأة مع نظرة واثقة وصريحة لا لبس فيها وظلت واقفة هناك تحدق به بتلك النظرة لمدة طويلة ، وفجأة استحوذت على توم سكويرز عاطفة في غير محلها . أراد بيأس رؤية آني والاتصال بها لثواني ومن ثم يغرق في النوم وهو يعلم أنها كانت فتية ونقية كنجمة ، وآمنة في سريرها .

«ليلة سعيدة» قال محاولا إخفاء أي اشمئزاز قد يظهر في صوته .

«أوه! ليلة سعيدة» .

بوصوله إلى «الباسو» في اليوم التالي ، قاد عبر الحدود إلى خواريز . كانت مشرقة وساخنة ، وبعد أن ترك حقائبه في المحطة ذهب إلى حانة لتناول شراب مثلج . وبينما هو يرتشف شرابه إذ بصوت فتاة يخاطبه بغلظة من الطاولة التي خلفه :

«هل أنت أمريكي؟»

وكان قد لاحظ أنها انخفضت على مرفقيها عندما دخل ؛ وحين استدار وجد فتاة صغيرة في حوالي السابعة عشر ، وكان من الواضح أنها ثملة ، ومع ذلك كان هناك رقة في صوتها

Twitter: @alqareah

المتمدد المضطرب . وانحنى النادل الأمريكي بسرية عليه وقال :

«لا اعرف ماذا علي أن أفعل معها ، لقد جاءت إلى هنا مع شابين رفيقين لها في حوالي الساعة الثالثة ، واحد منهما كان حبيبها . ثم تشاجروا فرحل الرجلان ، وبقيت هي هنا منذ ذلك الحين» .

اجتاحت توم موجة من النفور ، فلقد كانت قواعد جيله منتَهَكة ومتحداة . فوجود فتاة أمريكية ثملة ومهجورة في بلدة أجنبية قاسية ومثل هذه الأمور التي تحدث قد تحدث لآني أيضا . نظر بتردد في ساعته وسأل :

«هل دَفَعت حسابها؟»

«لقد احتست خمسة أكواب جن[1] ، لكن لنفترض أن أصدقائها الشبان عادوا مرة أخرى؟»

«قل لهم إنها في فندق روزفلت في إل باسو» .

اقترب منها ووضع يده على كتفها ، فنظرت إليه وقالت بغموض :

«أنت تشبه سانتا كلوز ، لا يمكنك على أيه حال أن تكون سانتا كلوز ، أليس كذلك؟»

«سآخذك إلى ال باسو» .

فكرت مليا وقالت : «حسنا! تبدو لي آمنا تماما»

(١) نوع من الشراب .

Twitter: @alqareah

كانت فتية جدا كوردة صغيرة ندية . لا بد أنه بكى بسبب لاوعيها البائس بالحقائق المعروفة ، وبعقوبات الحياة السابقة ، بذلك الصراع بالرماح في ساحة فارغة لأجل لا شيء . كانت سيارة الأجرة تسير ببطء شديد في الليل الذي صار مسموما فجأة .

بعد أن أوضح الأمور للموظف الليلي المتردد ، ذهب خارجا للبحث عن مكتب تلغراف .

وأرسل برقية جاء فيها «تم التخلي عن رحلة المكسيك ، سأغادر المكان الليلة ، وأرجو أن توافيني في القطار المتجه إلى مينيابوليس في محطة سانت بول على الساعة الثالثة ، لا يمكنني الاستغناء عنك للحظة ، مع خالص حبي .»

كان بإمكانه على الأقل إبقاء عين عليها ، نصحها ، أن يرى ما فعلت بحياتها . يا لوالدتها السخيفة!

على متن القطار ، حين كانت الأراضي الاستوائية المصفرة والحقول الخضراء تتلاشى بعيدا ، كان الشمال يكتسح المشهد من جديد برقع الثلج ، ثم حقول كاملة مغطاة به ، وكانت الرياح العاتية تعصف في الدهاليز والمزارع الكئيبة الغائصة في سبات . كان يذرع الممرات بأرق لا يطاق ، وعندما وصل القطار إلى محطة سانت بول ألقى بنفسه كفتى شاب وأخذ يبحث في الرصيف بلهف ، لكن عيناه فشلتا في العثور عليها . كان يعول على هذه الدقائق القليلة بين المدن ، فقد أصبحت هذه

Twitter: @alqareah

الدقائق دليلا على مدى إخلاصها لصداقتهما ، وعندما هم القطار بالانطلاق مرة أخرى كان قد بحث عنها من عربة المدخنين إلى آخر قاطرة ركاب . لكنه لم يعثر عليها ، وعرف الآن أنه كان حقا متيما بها . وبالتفكير في أنها قد اتبعت نصيحته وانغمست في علاقات غرامية مع رجال آخرين ، أصبح ضعيفا وخائفا .

عندما وصل إلى مينيابوليس ، كانت يداه مرتبكتان لذا كان عليه استدعاء الحمال لحزم أمتعته . وبينما هو ينتظر في الممر ريثما تُحمل حقائبه ، التصق بفتاة ترتدي معطفا من فرو السناجب .

«توم!»

«حسنا ، سأكون ـــــ»

طوقت عنقه بذراعيها وهتفت «لكن ، توم ، لقد كنت هنا في هذه العربة منذ محطة سانت بول!»

وقعت عصاه في الممر ، وضمها إليه بحنان والتقت شفاههما كقلبين متعطشين .

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث

منحت هذه الحميمية الجديدة لارتباطهما الواضح توم الشعور بسعادة الشباب . فصار يستيقظ في صباحات الشتاء وشعور بالفرح غير المستحق يملأ غرفته ؛ صار يلتقي برجال شباب ، ووجد نفسه يضاهيهم بقوة عقله وجسمه . و فجأة صار لحياته هدف وخلفية ؛ أحس أنه كامل ومكمل . في عشيات آذار الرمادية ، حين كانت تتجول في شقته بحميمة ، كانت تغمره من جديد ثقة الشباب الدافئة . وكانت النشوة والألم ، الفناء والأبدية توضع في تباينها المأساوي السحيق ، وبقليل من الذهول وجد نفسه يستسيغ المصطلحات الرومانسية الشبابية . لكنه كان أعمق تفكيرا من عاشق شاب ؛ وبالنسبة لآني فهو يعرف كل شيء ليبقي البوابات مفتوحة على مصراعيها حتى تعبر هي إلى العالم الذهبي الحق .

«سنذهب أولا إلى أوروبا» قال .

«أوه ، سنذهب إلى هناك كثيرا ، أليس كذلك؟ دعنا نقضي فصل الشتاء في إيطاليا والربيع في باريس» .

«لكن هناك الأعمال يا آني الصغيرة» .

Twitter: @alqareah

«حسنا ، لنبتعد أكبر قدر ممكن فأنا أكره مينيابوليس على كل حال» .

«أوه ، كلا» كان مصدوما قليلا «لا بأس بمينيابوليس .»

«لا بأس بمينيابوليس فقط عندما تكون أنت هنا .»

مع الوقت خضعت السيدة لوري للأمر الواقع . وبموافقة فاترة أقرت بالارتباط ، وكل ما ترجوه الآن هو أن لا يتم الزواج حتى الخريف .

«يا له من وقت طويل» تنهدت آني .

«بعد كل شيء ، أنا والدتك ولم أطلب الكثير .»

كان شتاء طويلا ، حتى بالنسبة لأرض شتاءاتها طويلة . وكان آذار مليئا بالانجرافات المتلاطمة ، وعندما بدا أخيرا كما لو أن البرد يجب أن يزول ، كانت هناك سلسلة من العواصف الثلجية اليائسة بمثابة المقاومة الأخيرة . انتظر الناس ، وقد أنفقوا أولى طاقتهم في المقاومة ، والإنسان ، كالطقس ، فقط ينتظر . كان هناك القليل للقيام به الآن وقد بدا القلق العام في الفظاظة التي طبعت العلاقات اليومية . ثم في وقت مبكر من نيسان ، مع تنهيدة طويلة تشقق الجليد ، وذاب الثلج في الأرض وانبلج من خلاله الربيع الأخضر المتلهف .

في أحد الأيام ، حين كانا منطلقين على طول الطريق المغطاة بالثلج المائع ، في النسيم الرطب المنعش مع القليل من العشب الكثيف والجائع ، شرعت آني في البكاء .

Twitter: @alqareah

أحيانا تبكي بلا سبب ، لكن هذه المرة أوقف توم السيارة فجأة وأحاطها بذراعه .

«لماذا تبكين هكذا؟ ألست سعيدة؟»

«أوه ، لا ، كلا!» احتجت .

«لكنك بكيت أمس بنفس الطريقة . ولم ترغبي بإخباري عن السبب . يجب أن تخبريني دائما» .

«لا شيء ، باستثناء الربيع ، رائحته طيبة جدا ، ودائما ما يحمل أفكار حزينة وذكريات» .

«انه ربيعنا يا حبيبتي» قال «آني ، لا تدعينا ننتظر . لنتزوج في يونيو» .

«لقد وعدت والدتي ، لكن إن أردت يمكننا أن نعلن خطبتنا في يونيو .»

وجاء فصل الربيع بسرعة الآن ، فجفت الأرصفة الرطبة ، وصار الأطفال يلعبون عليها بالمزاليج ، في حين يلعب الصبيان البيسبول في قطع الأرض الملساء والشاغرة . قام توم بتنظيم نزهات لأقران آني ، وشجعها على لعب الغولف والتنس معهم . وعلى نحو مفاجئ ، مع تمايل الطبيعة الأخير والمنتصر ، جاء الصيف بالتمام .

في احد مساءات أيار عبر توم ممشى منزل آل لوري وجلس بجانب والدة آني في الشرفة .

وقال «فكرت أنا وآني أنه من اللطيف جدا أن نتمشى بدل

Twitter: @alqareah

أن نركب السيارة هذا المساء . أرغب في أن أريها المنزل القديم الطريف الذي ولدت فيه .»

«في شارع تشامبر ، أليس كذلك؟ ستعود آني خلال بضع دقائق . لقد ذهبت في جولة مع بعض الشباب بعد العشاء» .

«نعم ، في شارع تشامبر .»

تطلع الآن إلى ساعته ، على أمل أن تأتي آني ما دام الظلام لم يحل بعد . إنها التاسعة والربع . تجهم ، فقد جعلته ينتظر في الليلة السابقة ، ولساعة ظهيرة أمس .

«لو كنت في الحادية والعشرين ، لأثرت فضيحة وسنكون حينها بائسين على حد سواء» قال في نفسه .

كان هو والسيدة لوري يتحدثان ، وقد طوّح دفء الليل التعب الغامض المسائي للخمسينيين وأضعفهما معا ، وللمرة الأولى منذ بدء اهتمامه بآني ، لم يكن هناك جفاء بينهما . وساد صمت طويل لم يكسره سوى صوت احتكاك عود الثقاب أو صرير مقعدها المتأرجح . عندما عاد السيد لوري إلى المنزل ألقى توم سيجارته الثانية في دهشة ونظر إلى ساعته ، لقد تجاوزت العاشرة .

«لقد تأخرت آني» قالت السيدة لوري .

«آمل أن لا يكون هناك أي مكروه» قال توم بقلق «مع من ذهبت؟»

«لقد كانوا أربعة عندما انطلقوا ، راندي كامبل وزوج

Twitter: @alqareah

آخرين - لم أتبين من هم . لقد كانوا ذاهبين فقط لتناول الصودا» .

«آمل أن لا تكون هناك أي مشاكل . ربما ، هل تعتقدين أنه يجب أن أذهب لأتفقدها؟» .

«الساعة العاشرة ليست بالوقت المتأخر في هذه الأيام ، ستجد» ثم تذكرت أن توم سكويرز سيتزوج آني ، ولن يتبناها ، فمنعت نفسها من إضافة : «ستعتاد على هذا ..»

عفا زوجها نفسه من البقاء معهما وآوى إلى فراشه ، وأخذت المحادثة منحى قسريا ومتقطعا . عندما دقت ساعة الكنيسة التي على الطريق الحادية عشر صمت كلاهما وأصغى إلى الدقات . بعد عشرين دقيقة وبمجرد أن سحق توم بتبرم سيجارته الأخيرة ، اندفعت سيارة عبر الشارع وركنت أمام الباب . وللحظة لم يتحرك أحد من على الشرفة ولا في السيارة . ثم نزلت آني ، تحمل قبعتها في يدها وتوجهت مسرعة صوب الممشى . وفي تحد لهدوء الليل ، زمجرت السيارة مبتعدة .

«أوه ، مرحبا!» هتفت قائلة «أنا آسفة جدا! كم الساعة؟ هل أنا متأخرة جدا؟»

لم يجب توم . وألقى مصباح الشارع على وجهها ضوءً نبيذي اللون وعكس مع الظل التورد الشديد لخدها . كانت ثيابها منكمشة ، وكان شعرها باختصار فوضويا ، ولكنه

Twitter: @alqareah

الانكسار الطفيف والغريب في صوتها هو ما جعله يخشى الكلام ، ويشيح بعينيه جانبا .

«ما الذي حدث؟» سألت السيدة لوري عرضا .

«أوه ، حدث انفجار وخلل ما في المحرك وفقدنا طريقنا . هل تأخر الوقت بشكل رهيب؟»

بعد ذلك ، عندما وقفت أمامهما ، وقبعتها لا تزال في يدها ، كان صدرها يعلو وينخفض قليلا وعيناها واسعتان ومشرقتان ، أدرك توم بصدمة انه ووالدتها كانا شخصين من نفس العمر ينظران إلى شخص من عمر آخر . حاول قدر الإمكان لكنه لم يستطع أن يفصل نفسه عن السيدة لوري ، وعندما استأذنت للذهاب قمع هو رغبة محمومة في ان يقول لها : «ولكن لماذا يجب أن تذهبي الآن ، بعد أن جلسنا هنا طيلة مساء؟»

بقيا لوحدهما ، تقدمت آني نحوه وضغطت على يده . لم يسبق وأن كان واعيا لهذه الدرجة بجمالها ، وكان ليديها الرطبتين ملمس الندى .

«لقد خرجت مع الشاب كامبل» .

«نعم ، أوه ، لا تغضب ، فأنا أشعر ، أشعر بضيق شديد الليلة .»

«تشعرين بضيق؟»

جلست ، متذمرة قليلا .

Twitter: @alqareah

«لم يكن يسعني إلا ذلك . من فضلك لا تغضب ، لقد أراد مني مرافقته في جولة وكانت ليلة رائعة ، لذا ذهبت فقط لمدة ساعة . بدأنا نتحدث ولم أكن أدرك مرور الوقت . أشعر بالأسف تجاهه .»

«وماذا تعتقدين شعوري؟» سخر من نفسه ، لكن الكلام كان قد قيل الآن .

«لا تفعل هذا يا توم ، لقد قلت لك أنني كنت مستاءة بشكل رهيب . أريد أن اخلد إلى النوم الآن .»

«أنا أفهم . ليلة سعيدة ، آني» .

«أوه ، رجاءً لا تتصرف على هذا النحو ، توم . ألا يمكنك أن تفهم؟»

لكن كان في وسعه ذلك ، وهنا بالضبط تكمن المشكلة . وبانحناءة لطيفة لجيل آخر ، سار أسفل الدرج وتلاشى بعيدا تحت ضوء القمر . للحظة كان مجرد ظل يعبر مصابيح الشوارع ومن ثم صوت وقع أقدام خافت بعيدا في الشارع .

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع

طيلة الصيف ، غالبا ما كان يتمشى في المساء خارجا ، كان يحب الوقوف لبضع دقائق أمام المنزل الذي ولد فيه ، ثم أمام منزل آخر أين عاش طفولته . وفي طريقه المعتاد كانت هناك بعض المعالم الواضحة من فترة التسعينات ، منازل المرح المغتصبة والتي لم يعد لها وجود ، هيكل إسطبلات جانسون وحلبة التزلج «نوشكا» القديمة ، أين كان والده يلعب الكيرلنج[١] على الجليد المصقول كل شتاء .

«هذا مؤسف» تمتم «مؤسف جدا» .

كان لديه أيضا ميل للمشي بمحاذاة أضواء بعض محلات العقاقير ، إذ تبدو له أنها تحتوي على بذور غصن آخر أقرب إلى الماضي . دخل مرة لإحداها ليستفسر عرضا حول البائعة شقراء ، فوجد أنها قد تزوجت وغادرت قبل عدة أشهر . حصل على اسمها رغبة في أن يرسل هدية زفاف لها «من معجب صامت» ، لأنه شعر انه مدين لها بشيء من سعادته وألمه . لقد

(١) هي لعبة جماعية يلعبها فريقان مكونان من أربعة لاعبين في كل فريق و تعتمد على دفع صخرة مدورة ملساء على ساحة من الجليد المصقول .

Twitter: @alqareah

خسر المعركة ضد الشباب والربيع ، ومع حزنه دفع ثمن ذنوب العمر التي لا تغتفر برفضه الموت ، لكن ليس بإمكانه النزول أسفل ليضيع في الظلام دون أن يُستنفذ قليلا ، بعد كل شيء ، كان كل ما يريده هو كسر قلبه القوي العجوز . فالصراع في حد ذاته له قيمة أبعد من النصر والهزيمة ، وتلك الأشهر الثلاث كانت له إلى الأبد .

Twitter: @alqareah

حالة مدمن الكحول

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

«اترك هذا – أوه! رجـاء ، الآن ، هل سـتـفـعل؟ لا تبـدأ بالشـرب مـرة أخـرى! هيـا– أعطيني الزجـاجـة . لقـد قلت لك سأبقى صاحية وأعطيك منها . هيا ، إذا كنت تفعل هكذا الآن فكيف ستكون عند العودة إلى المنزل . هيا ، دعها معي ، سوف أترك لك نصفها . را_جاءً! أنت تعلم ما الذي يقوله الدكتور كارتر – سأظل مستيقظة وأعطيك منه ، أو أترك بعضا منه في الزجاجة ، هيا ، كما قلت لك ، أنا متعبة جدا لأتشاجر معك طوال الليل . . . . حسنا ، اشرب حتى الموت» .

«هل ترغبين في بعض الجعة؟ سأل» .

«لا ، أنا لا أريد أي جعة . أوه ، مجرد التفكير في أن عليّ أن أراك في حالة سكر مجددا . يا إلهي!»

«إذا سأشرب كوكا كولا» .

جلست الفتاة تلهث على السرير .

«ألا تؤمن بأي شيء؟» سألت .

«لا شيء تؤمن به – رجاءً – ستقع الزجاجة» .

لم يكن لديها ما تفعله هناك ، فكرت ، فلم يكن بمقدورها مساعدته . وتعاركا مرة أخرى ، لكنه جلس بعد ذلك ووضع

Twitter: @alqareah

رأسه بين يديه لحظة ، قبل أن يستدير مرة أخرى .

«إن حاولت مرة أخرى الحصول عليها فسأرميها» قالت بسرعة «سأفعل ذلك ، على أرضية الحمام» .

«ثم سأمشي على الزجاج المكسور ، أو ستمشي عليه أنت .»

«هيا إذا - أوه لقد وعدتِ»

وفجأة أوقعتها كالقذيفة . انزلقت من بين يدها مع ومضة من الأحمر والأسود وكلمات : السير جالاهاد ، شراب الجن لويسفيل المقطر ، فأمسك بعنق الزجاجة وقذف به من خلال الباب إلى الحمام المفتوح .

تناثرت قطع الزجاج على الأرض وساد الصمت لمدة ، وكانت قد قرأت رواية «ذهب مع *الريح*» التي تتحدث عن أشياء جميلة جدا حدثت منذ فترة طويلة . ثم انتابها القلق من أنه قد يضطر للذهاب إلى الحمام وهناك سيجرح قدميه ، فكانت تنظر من وقت إلى آخر لترى ما إذا كان سيذهب إلى هناك أم لا . كانت تشعر بنعاس شديد ، وفي آخر مرة رفعت بصرها كان يبكي وبدا لها أنه يشبه عجوزا يهوديا كانت قد تولت رعايته عندما كانت في كاليفورنيا ، وكان عليه الذهاب عدة مرات إلى الحمام . لم تكن سعيدة طوال الوقت في توليها هذه الحالة ، ولكنها فكرت :

«أظن أنني لو لم أكن أحبه لتخليت عن تولي حالته»

Twitter: @alqareah

مع يقظة مفاجئة لضميرها قامت ووضعت كرسيا أمام باب الحمام . لقد كانت ترغب في النوم لأنه أيقظها باكرا هذا الصباح لتحضر الجريدة المرفقة بقصة «لعبة ييل دارتموث» ، ولم تعد إلى البيت طوال اليوم . بعد ظهر ذلك اليوم أتى أحد أقرباءه لرؤيته وانتظرت هي في الردهة حيث كان هناك تيار هوائي ولم تكن معها أي سترة لترتديها فوق بزتها .

وبقدر ما تستطيع جهزته للنوم ، ووضعت على كتفيه غطاء حين كان مستلقياً على مكتبه ، وآخر على ركبتيه . جلست على الكرسي الهزاز لكنها لم تعد تشعر بالنعاس ، فقد كان هناك الكثير لتدونه على الجدول البياني وأخذت تسير برفق لتبحث عن قلم ودونت :

النبض ١٢٠

التنفس ٢٥

الحرارة : ٩٨-٤,٩٨ - ٢,٩٨

ملاحظات

بإمكانها أن تدون الكثير :

حاول الحصول على زجاجة من الجن . رماها بعيدا وكسرها .

ثم صححتها على النحو التالي :

في الصراع لأجل الحصول عليها وقعت وانكسرت . كان التعامل مع المريض صعبا بشكل عام .

Twitter: @alqareah

و بدأت بإضافة ما يلي كجزء من تقريرها : *لم أرغب أبدا في تولي حالة مدمن كحول مرة أخرى* ، لكن هذا لم يكن في الصورة . كانت تعرف أن بإمكانها أن تستيقظ على السابعة وتنظف كل شيء قبل استيقاظ ابنة أخيه . كان كل هذا جزء من اللعبة ، لكن عندما جلست على الكرسي تطلعت في وجهه ، الأبيض والمنهك ، وعدت أنفاسه مرة أخرى متسائلة لماذا حدث كل هذا . لقد كان لطيفا جدا اليوم ، فقد رسم لها شريطا كاملا من رسومه الكاريكاتورية لمجرد التسلية وأعطاها إياه . كانت ستضعه في إطار وتعلقه في غرفتها . وأحست من جديد بمعصميه النحيفين يصارعان معصمها وتذكرت الأشياء الفظيعة التي قالها . وفكرت أيضا في ما قاله له الطبيب بالأمس :

«أنت رجل جد صالح لتفعل هذا بنفسك» .

كانت متعبة ولم ترغب في تنظيف الزجاج من على أرضية الحمام ، لأنه بمجرد ما انتظم تنفسه أرادت أن تأخذه إلى السرير . لكنها قررت في النهاية أن تنظف الزجاج أولا ؛ فجثت على ركبتيها تبحث على آخر قطعة منه ، وفكرت :

«ليس هذا ما ينبغي أن أفعله . وليس هذا ما ينبغي أن يفعله .»

بامتعاض وقفت ونظرت إليه . كان يصدر من خلال أنفه الرفيع الدقيق شخير خفيف ، تنهد ناء لا عزاء له . وقد هز

Twitter: @alqareah

الطبيب رأسه بطريقة معينة ، وأدركت حقا أنها كانت حالة تفوقها . بالإضافة إلى ذلك فقد كتب على بطاقتها في الوكالة ، بناء على نصيحة ممن هم أقدم منها : «لا مدمني خمر . »

لقد قامت بكامل واجبها ، لكن كل ما أمكنها التفكير به هو أنه عندما كانت تتصارع معه على مقربة من الغرفة بزجاجة الجن تلك ، كانت هناك لحظة توقف فيها ليسألها ما إذا تأذى كوعها بالباب وأجابت وقتها : «أنت لا تعلم كيف يتحدث الناس عنك ، بغض النظر عما تظنه بنفسك» - حينها علمت أنه قد توقف منذ مدة طويلة عن الاكتراث بالأمر .

تم جمع الزجاج كله ، وعندما أخرجت مكنسة للتأكد من ذلك ، أدركت أن شظايا الزجاج كانت أقل من النافذة التي نظرا من خلالها إلى بعضهما لفترة . لم يكن يعرف عن أختها ، وعن بيل ماركوي التي كادت أن تتزوجه ، ولم تعلم هي ما الذي أوصله إلى هذه الدرجة ، رغم وجود صورة على مكتبه له مع زوجته الشابة وطفليه ، متأنقا ووسيما كما كان يجب أن يكون قبل خمس سنوات . كان ذلك تماما بلا معنى ، وبينما كانت تضع الضمادة على إصبعها الذي جرح حين كانت تلتقط الزجاج قررت أنها لن تتولى حالة مدمن كحول مرة أخرى .

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني

في وقت مبكر من مساء اليوم التالي ، قام أحد الأشخاص المتنكرين في زي مهرج الهالوين بشق النوافذ الجانبية للحافلة ، فانتقلت إلى الخلف حيث الجزء المخصص للزنوج خوفا من أن يتساقط الزجاج . كان معها شيك مريضها لكن لا مجال لصرفه في مثل هذه الساعة ، ولم يكن في حقيبتها إلا قرش وربع .

كان هناك ممرضتان تعرفهما تنتظران في ردهة وكالة السيدة هيكسون .

«ما نوع الحالة التي توليتها؟»

«مدمن كحول» أجابت .

«أوه ، نعم ، لقد أخبرتني غريتا هاوكس عن ذلك ، كنت تعملين على حالة الرسام الكاريكاتيري الذي يعيش في بارك فورست» .

«نعم ، بالفعل .»

«سمعت أنه جلف جدا .»

«لم يسبق وأن قام بأمر يزعجني» لقد كذبت «لا يمكنك معاملتهم كما لو أنهم متورطون»

«أوه ، لا تنزعجي ، هذا فقط ما يتداوله الناس في البلدة ،

Twitter: @alqareah

أوه ، تعرفين ، إنهم يريدونك أن تعبثي معهم»

«أوه ، اصمتي» قالت وقد استغربت من امتعاضها المتزايد .

في لحظة خرجت السيدة هيكسون ، وطلبت من السيدتان الانتظار ، وأشارت لها بالدخول إلى المكتب .

«أنا لا أحب أن أولي الفتيات الشابات مثل هذه الحالات» بدأت السيدة هيكسون كلامها «لقد تلقيت مكالمتك من الفندق .»

«أوه ، لم يكن الأمر سيئا ، سيدة هيكسون . هو لم يكن يدرك ما كان يفعله ثم انه لم يؤذني على أي حال . كنت أفكر أكثر في سمعتي معك . لقد كان لطيفا طوال نهار أمس ، وقد رسم لي» .

«لم أكن أريد أن أوليك هذه الحالة» قالت وهي تتصفح بطاقات التسجيل «اعتدت تولي حالات مرضى السل ، أليس كذلك؟»

«نعم ، أرى أنك تفعلين ذلك ، الآن هناك واحدة» .

رن الهاتف بشكل مستمر . استمعت الممرضة لصوت السيدة هيكسون تقول على وجه التحديد :

«سأفعل ما بوسعي ، هذا يتوقف على الطبيب . . . هذا خارج نطاق سلطتي . . . أوه ، مرحبا ، هاتي ، لا ، لا أستطيع الآن .

Twitter: @alqareah

اسمعي ، هل لديك أي ممرضة جيدة في التعامل مع مدمني الكحول؟

هناك شخص في نزل فورست بارك يحتاج إلى شخص ما .

عاودي الاتصال بي ، ستفعلين؟»

وضعت السماعة ، وقالت «ظننتك تنتظرين في الخارج . على أي حال ، أي نوع من الرجال هو هذا؟ هل تصرف بشكل غير لائق؟»

«لقد أمسك يدي وأبعدها» قالت «لهذا لم استطع أن أعطيه الحقنة» .

«أوه ، هو رجل مريض» تذمرت السيدة هيكسون «مكانهم في المصحات . لقد تلقيت حالة منذ دقيقتين ، والتي بإمكانك أن ترتاحي قليلا فيها . إنها امرأة مسنة» .

رن الهاتف مرة أخرى «أوه ، مرحبا ، هاتي . . . . حسنا ، ماذا عن فتاة سفنسن الكبرى؟ لابد أنها قادرة على رعاية أي مدمن كحول . . . . ماذا عن جوزفين ماركهام؟ ألا تعيش في شقتك؟ . . . صليها بالهاتف» .

بعد لحظة

«جو ، هل بإمكانك تولي حالة رسام كاريكاتوري شهير ، أو فنان ، لا يهم ما يطلقونه على أنفسهم ، في نزل فورست بارك؟ . . . لا ، لا أعلم ، لكن الدكتور كارتر هو المسؤول

Twitter: @alqareah

وسيكون هناك في حوالي العاشرة» .

كانت هناك فترة صمت طويلة ، ومن وقت لآخر كانت السيدة هكسون تتحدث :

«أفهم ذلك . . . بالتأكيد ، أفهم وجهة نظرك . نعم لكن ليس من المفترض أن يكون هذا خطيرا ، فقط هناك صعوبة بعض الشيء . لا أحب أبدا إرسال الشابات إلى نزل لأنني أعرف أي رعاع أنتن عرضة لمواجهتهم . . . . لا ، سأجد شخصا ما . حتى في هذه ساعة . لا عليك وشكرا . قولي لهاتي آمل أن تناسب القبعة المبذل» .

أغلقت السيدة هيكسون السماعة وأخذت تدون على اللوحة المقابلة ، لقد كانت امرأة جد فعالة ، فقد كانت ممرضة ومرت بأسوأ الحالات ، كانت فخورة ، مثالية ، متدربة منهكة ، عانت من سوء معاملة الأسرى العنيفين ووقاحة مرضاها الأوائل الذين كانوا يعتقدون بأنها كانت شيئا يجب أن يؤخذ فورا إلى المخيم لأجل التعهد المبكر لخدمة كبار السن .

والتفت فجأة حول مكتب .

«ما نوع الحالات التي تريدينها؟ قلت لك أن لدي امرأة مسنة لطيفة» .

اتقدت عينا الممرضة البنيتين بمزيج من الأفكار ، الفيلم الذي رأته مؤخرا حول باستور والكتاب الذي قرأنه جميعا حول فلورنس نايتنجيل عندما كن طالبات ممرضات . وكبريائهن ،

Twitter: @alqareah

وهن يعبرن الشوارع في الطقس البارد عندما كن في مستشفى فيلادلفيا العام ، وكن فخورات بأرديتهن الجديدة كحسناوات متشحات بالفراء في طريقهن إلى الحفلات الراقصة المُقامة بالفنادق .

«أنا . . اعتقد أنني أود أن أقوم بمحاولة أخرى في هذه الحالة» قالت وسط نشاز رنات الهاتف .

«سأعود حالا إذا لم تتمكني من العثور على أي شخص آخر» .

«ولكن منذ دقيقة قلتِ أنك لن تتولي أبدا حالة مدمن كحول ، وفي الدقيقة الموالية تقولين انك تريدين العودة إليها» .

«أعتقد أنني بالغت في تقدير مدى صعوبتها . حقا ، أعتقد أن بإمكاني مساعدته .»

«الأمر بيدك . وماذا إن حاول الإمساك بمعصميك .»

«لن يستطيع» قالت الممرضة «انظري إلى معصمي : لقد لعبت كرة السلة في ثانوية واينيسبورو لمدة عامين . أنا قادرة تماما على الاعتناء به» .

نظرت إليها السيدة هيكسون لمدة طويلة ، وقالت «حسنا ، تمام . لكن تذكري فقط أن ما يقوله أمثاله وهم ثملون ليس هو ما يعنونه عندما يكونون صاحين- لقد مررت بهذا من قبل . رتبي الأمر مع أحد الموظفين بحيث يمكنك الإتصال به ، لأنك لن تعرفي أبدا ما قد يحدث ، بعض المدمنين ممتعون وبعضهم

Twitter: @alqareah

لا ، لكن بإمكانهم جميعا أن يكونوا فاسدين» .

«سأتذكر هذا» قالت الممرضة .

كانت ليلة صافية بشكل غريب عندما غادرت ، وكانت ذرات الصقيع المنحدرة تحيل السماء السوداء بيضاء . كانت الحافلة نفسها التي استقلتها إلى البلدة ، لكن بدا أن هناك المزيد من النوافذ المحطمة الآن وكان سائق الحافلة غاضبا ويتحدث عن الأشياء الرهيبة التي سيقوم بها إذا أمسك أيا من الأولاد . كانت تعلم أنه كان فقط يتحدث عن الإزعاج بشكل عام ، تماما كما كانت تفكر في الإزعاج الذي يسببه مدمن الكحول . عندما صعدت إلى الجناح ووجدته عاجزا تماما ومذهولا لابد من أنها احتقرته وتأسفت لحاله .

نزلت من الحافلة ، ثم عبرت الدرج الطويل إلى الفندق ، كانت تشعر بشيء من التعالي بسبب البرد الشديد . كانت ذاهبة للاعتناء به لأن لا أحد آخر سيفعل ، ولأن أفضل الأشخاص من مهنتها كانوا مهتمين برعاية الحالات التي لا يريدها احد .

طرقت على باب مكتبه ، وهي تعرف تماما ما ستقوله .

فتح الباب بنفسه . كان يرتدي ملابس العشاء وحتى القبعة السوداء ، لكن تنقصه الدبابيس وربطة عنق .

«أوه ، مرحبا» قال عرضا «سعيد بعودتك ، لقد استيقظت منذ مدة وقررت أن اخرج . هل وجدتِ ممرضة ليلية؟»

Twitter: @alqareah

«أنا ممرضة ليلية أيضا» قالت «لقد قررت البقاء بدوام أربع وعشرين ساعة» .

فابتسم بلا مبالاة .

«لقد رأيتك تذهبين ، لكن شيئا ما أخبرني أنك ستعودين . رجاء جدي لي دبابيسي . لا بد أن تكون إما في علبة الصدف أو»

هز نفسه بعض الشيء في ملابسه ، ورفع ثنيتي كمي المعطف إلى الداخل .

«اعتقدت أنك تركتني» قال عرضا .

«اعتقدت ذلك أنا أيضا» .

«إذا ألقيتِ نظرة على تلك الطاولة فستجدين شريطا كاملا من الرسوم الكاريكاتورية التي رسمتها لك .»

«مع من ستلتقي؟» سألت .

«سكرتيرة المدير» قال «لقد قضيت وقتا مريعا في محاولة الاستعداد ، وكنت على وشك الاستسلام عندما جئت أنت» .

هل ستسمحين لي ببعض شراب الشيري؟

«كأسا واحدة» وافقت بضجر .

ونادى من الحمام الآن :

«أوه ، أيتها الممرضة ، أيتها الممرضة ، يا نور حياتي ، أين هو الدبوس الآخر؟»

«أنا سأضعه لك» .

Twitter: @alqareah

في الحمام شاهدت على وجهه شحوبا وحمى وشمت رائحة النعناع المختلط بشراب الجن في أنفاسه .

«هل ستعود في وقت قريب؟» سألت «سيأتي الدكتور كارتر على العاشرة .»

«ما هذا الهراء! ستنزلين معي» .

«أنا؟» تساءلت «في سترة وتنورة؟ أ يعقل هذا!»

«إذا لن أذهب» .

«حسنا إذا ، اذهب إلى السرير . ذلك هو المكان الذي تنتمي إليه على أية حال .»

«ألا يمكنك أن تقابل هؤلاء الناس غدا؟»

«لا بالطبع لا!»

ذهبت خلفه وبلغت كتفه لتُعدّل ربطة عنقه ، وكان قميصه قد تجعد من كثرة الضغط عليه مكان وضع الدبابيس ، فاقترحت قائلة :

«ألن ترتدي قميصا آخر؟ إن كنت ستلتقي بأشخاص تحبهم؟»

«حسنا ، لكني أريد أن أقوم بالأمر بنفسي» .

«لماذا لا تسمح لي بمساعدتك؟» سألت في سخط «لماذا لا تسمح لي بمساعدتك في ارتداء ملابسك؟ ما هي مهمة الممرضة ، ما الفائدة مني إذا؟»

جلس فجأة على مقعد المرحاض .

«حسنا! تفضلي»

Twitter: @alqareah

«الآن لا تمسك معصمي» قالت، ثم أضافت «اعذرني» .

«لا تقلق . إنها لا تؤلم . سترى ، فقط دقيقة واحدة .»

نزعت المعطف ، السترة ، والقميص الرسمي ، لكن قبل أن تتمكن من سحب قميصه الداخلي من رأسه سحب نفسا من سيجارته ما أعاقها عن ذلك ، وقال :

«الآن راقبي هذا» قال «واحد- اثنين -ثلاثة .»

وفي نفس الوقت الذي سحبت فيه القميص الداخلي ؛ غرز رأس السيجارة القرمزي-الرمادي في قلبه كالخنجر . فانسحق في القطعة النحاسية الموجودة في ضلعه الأيسر والتي كانت بحجم دولار معدني ، فطاشت شرارة جهة معدته جعلته يصيح . وفكرت أن الوقت لكي تصبح قاسية قد حان . لقد علمت أن هناك ثلاث ميداليات من الحرب في صندوق المجوهرات الخاص به ، لكنها خاطرت بنفسها في أمور كثيرة : من بينها السل وما هو أسوء في أحد المرات ، على الرغم من أنها لم تكن تعلم بالأمر ولم تغفر تماما للطبيب عدم إخبارها به .

«لقد عانيت من هذا ، على ما أعتقد» قالت بجدية بينما كانت تنظفه بالليفة «ألن تلتئم؟»

«أبدا! إنها صفيحة نحاسية .»

«حسنا ، لا يوجد عذر لما تفعله بنفسك» .

نظر إليها بعينيه البنيتين الكبيرتين ، فطنا ، متحفظا ، ومرتبكا .

Twitter: @alqareah

وأبدى لها ، في ثانية واحدة ، رغبته في الموت ، و نظرا لكل ما تدربت عليه ولخبرتها عرفت أنه ليس بإمكانها أبدا أن تقوم بشيء بنّاء معه . وقف ، وأسند نفسه على حوض الغسيل وثبت نظره على مكان مقابل له .

«والآن ، إن كنت سأبقى هنا فإنك لن تعود إلى الشرب» قالت .

فجأة عرفت أنه لم يكن يبحث عن ذلك ، بل كان يبحث في الزاوية أين ألقى الزجاجة في الليلة السابقة . حدقت في وجهه الوسيم ، الضعيف والمتحدي . كانت خائفة من العودة حتى إلى منتصف الطريق لأنها كانت تعلم أن الموت كان في تلك الزاوية حيث كان ينظر . لقد عرفت الموت ، سمعته ، واشتمت رائحته التي لا لبس فيها ، لكن لم يسبق لها أن رأته يدخل في أي شخص ، وعرفت أن هذا الرجل قد رآه في زاوية الحمام . لقد كان يقف هناك ينظر إليه وهو يبصق إثر سعال واهن ويفرك بصاقه في شريطة سرواله . ثم لمع هناك وخشخش للحظة واحدة كدليل على آخر حركة قام بها .

حاولت التعبير عنها في اليوم الموالي للسيدة هيكسون :

«إنه لا يشبه أي شيء يمكنك التغلب عليه ، مهما حاولت بجد . قد يكون هذا الرجل لوى معصميَ حتى آذاهما ، ولكن هذا لا يهم كثيرا بالنسبة إلي . وحقيقة أنه لا يمكنك مساعدتهم حقا مثبطة جدا ، فكل هذا لأجل لاشيء .»

Twitter: @alqareah

لعبة القدر

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

وقف بارنز أعلى الدرج الواسع ينظر عبر الردهة الرحيبة إلى غرفة معيشة المنزل الريفي حيث كان هناك مجموعة من الشباب . كان صديقه سكوفيلد يوجه بعض الملاحظات التطوعية لهم ، ولم يشأ بارنز مقاطعته . وبوقوفه هناك دون حراك ، بدا وكأنه قد انخرط فجأة في الإيقاع مع الفرقة التي كانت في الأسفل ؛ كان يراهم كائنات أشبه بالتماثيل ، منفصلة ، ومنحوتة من شفق مينيسوتا الذي كان يغرب عن القاعة الكبرى .

كان خمستهم (اثنان من آل سكوفيلد وأصدقاءهما) وسيمين جدا ، يمتازون بمظهر أمريكي نمطي ، وأجساد قوية ، يرتدون ملابس رسمية لكن بطريقة مهملة ، ووجوههم منفتحة لكل شيء ومستجيبة . ثم رأى أنهم يشكلون تصميما فنيا ، بالمظهر الجانبي لوجوههم المتراصة ، الرؤوس شقراء وداكنة ، متجهة نحو السيد سكوفيلد ، والأجساد منتصبة لكن متراخية بعض الشيء ، ليست متشنجة ومع ذلك رشيقة تحت الفانيلات والسترات الصوفية الناعمة ، وقد وضعوا أيديهم على أكتاف بعضهم البعض ، كما لو كان كل فرد منهم يعيد الآخر إلى تعاطف المجموعة المتين . ثم فجأة ، وكمجموعة من عارضين

Twitter: @alqareah

وقفوا أمام نحات ثم طردوا ، توجهوا جميعا نحو الباب بمجرد ما انتهت القطعة الموسيقية ، وخلفوا وراءهم بارنز وقد خالجه شعور أنه قد رأى أكثر من خمسة شباب ما بين السادسة عشر والثامنة عشر يخرجون للإبحار أو للعب التنس أو الغولف ، بل تكوّن لديه انطباع حاد عن نمط بأكمله ، موضة شباب بأكملها ، أمر يختلف عن جيله الذي كان أقل جرأة ، وأقل رشاقة ، أمر موحد وفقا للمعايير التي يجهلها . وتساءل بغموض عن معايير العشرينيات ، وما إذا كانت تستحق أي شيء ، وتملكه شعور بضياع الكثير من الجهد لتحقيق جمالية بحتة . ثم رآه سكوفيلد وناداه لينزل إلى غرفة المعيشة .

«أليسوا مجموعة رائعة من الأولاد؟» سأل سكوفيلد «قل لي ، هل رأيت من قبل مجموعة أروع؟»

«رائعون جدا وافق» بارنز بفتور .

وراوده هاجس مفاجئ بأن جيله قد جعل من تحقيق عصر بريكليسي[1] أمرا ممكنا في سنوات عطاءه ، ولكنه لم ينشئ أي «بريكليس» منتظر . لقد وضعوا الديكور : فهل كان الممثلون ملائمين؟

(١) بريكلس سياسي أثيني عاش بين عامي ٤٩٥ - ٤٢٩ قبل الميلاد وحكم أثينا بشكل متقطع من عام ٤٦٠ ق م حتى وفاته . و قد شهدت أثينا عصرا ذهبيا في فترة حكمه .

Twitter: @alqareah

«ليس لمجرد أن اثنين منهم هما ولداي» تابع سكوفيلد «بل هذا جلي ، لا يمكنك أن تجد مثل هذه المجموعة في أي مدينة في البلاد . ففي المقام الأول ، يبدون كمجموعة من الضخام .

هذان الفتيان من عائلة كافينو لن يصبحا رجلين ضخمين ، كأبيهما ، لكن بإمكان أكبرهما أن يلتحق بفريق الهوكي لأي كلية في البلاد في الوقت الراهن» .

«كم عمرهم؟» سأل بارنز .

«حسنا ، هوارد كافينو ، الأكبر ، هو في التاسعة عشرة وسيلتحق بجامعة ييل في العام المقبل . ثم يأتي محبوبي ويستر ، انه في الثامنة عشرة ، وسيلتحق هو الآخر بييل العام المقبل . هل تحب ويستر؟ لا أعرف شخصا لا يحبه . سيصبح هذا الفتى سياسيا عظيما .

ثم هناك فتى يدعى لاري بات والذي لم يحضر هنا اليوم ، هو أيضا في الثامنة عشر ، وهو بطل الولاية في الغولف ، والفائز بأحسن صوت أيضا . إنه يحاول الالتحاق ببرينستون» .

«من هو ذاك الأشقر بارع الجمال؟»

«هذا بو لوبوم ، وسيذهب إلى ييل هو الآخر ، هذا إن سمحت له الفتيات بمغادرة المدينة . ثم هناك واحد آخر من آل كافينو ، ذلك القصير الممتلئ ، سيصبح رياضيا أفضل حتى من شقيقه . وأخيرا هناك صغيري تشارلي ، انه في السادسة عشرة .»

Twitter: @alqareah

تنهد سكوفيلد على مضض وأضاف «اعتقد انك قد سمعت ما يكفي من التباهي» .

«لا ، قل لي المزيد عنهم ، أنا مهتم بالأمر . هل يمارسون شيئا فضلا عن الرياضة؟»

«لا يوجد في المجموعة غبي واحد ، ربما باستثناء بو لوبوم ، لكن لا يسعك إلا أن تحبه على أية حال . وكل واحد منهم هو قائد بالفطرة . أتذكر قبل بضع سنوات عندما حاولت عصابة قوية افتعال شجار معهم ، ووصفوهم بـ«الحلوى» - حسنا ، لابد أن تلك العصابة لا تزال هاربة إلى حد الآن . لقد ذكروني نوعا ما بالفرسان الشباب . وماذا في كونهم رياضيين؟ أذكر انك كنت تمارس التجديف في نيو لندن ، وهذا لم يمنعك من دعم أنظمة السكك الحديدية و-» .

«لقد مارست التجديف لأنني كنت أعاني من معدة مريضة» قال بارنز .

«بالمناسبة ، هل كل هؤلاء الأولاد أثرياء؟»

«حسنا ، أبناء كافينو هم كذلك ، بالتأكيد ، وسيكون أبنائي أيضا» وتلألأت عينا بارنز .

«إذا ، أظن بما أنه ليس عليهم القلق حيال المال ، فقد أُنشؤوا خصيصا لخدمة الولاية ، لقد تحدثت عن امتلاك واحد من أبنائك لمواهب سياسية وأنهم جميعا كالفرسان الشباب ، لذا أعتقد أنهم سيتوجهون إلى الحياة العامة والجيش والبحرية» .

Twitter: @alqareah

«لا علم لي بهذا» وقد بدا صوت سكوفيلد مذعورا إلى حد ما «أعتقد أن آبائهم سيصابون بخيبة أمل كبيرة إذا لم يتوجه أبناءهم إلى إدارة الأعمال . هذا هو الطبيعي ، أليس كذلك؟»

«هو طبيعي ، ولكنه ليس رومانسيا جدا» قال بارنز ملاطفا .

«أنت تحاول إثارة غضبي» قال سكوفيلد «حسنا ، إن استطعت مجاراة ذلك -»

«إنهم بالتأكيد مجموعة للزينة» أقر بارنز «إنهم يمتلكون ما يعرف «بالسحر» ، يشبهون دون شك إعلانات السجائر في المجلات . ولكن-»

قاطعه سكوفيلد «يا لك من مشاكس كبير ، لقد شرحت لك أن جميع هؤلاء الفتيان نشطون ، فابني ويستر تقدم فصله في المدرسة هذا العام ، لكني كنت فخورا أكثر بحصوله على ميدالية الفتى متعدد المواهب» .

واجه الرجلان بعضهما البعض وبينهما على الطاولة أوراق المستقبل التي لم توزع بعد . لقد كانا في الكلية معا ، وكانا صديقين لسنوات عديدة . لم يكن لدى بارنز أطفال ، وكان سكوفيلد يميل إلى أن ينسب افتقاره إلى الحماس إلى هذا الأمر .

«بطريقة ما لا أتصورهم يبهرون العالم ، ويتفوقون على

Twitter: @alqareah

آبائهم» انفجر بارنز فجأة .

«على قدر سحرهم تزداد صعوبة الأمر بالنسبة لهم . وقد بدأ الناس في الشرق يدركون ما الذي يواجهه الفتيان الأثرياء . هل يجارونهم؟ ربما ليس الآن» وانحنى إلى الأمام ، وعيناه متقدتان .

«لكن يمكنني أن اختار ستة فتيان من أي مدرسة ثانوية في كليفلاند ، وأمنحهم تعليما ، وأنا أؤمن أنه بعد عشر سنوات من هذا سيكون هؤلاء الشباب متفوقين تماما . المطلوب منهم قليل جدا ، والمتوقع منهم قليل جدا ، ما الذي يمكن أن يكون أكثر راحة من مجرد كون المرء فاتنا ورياضيا؟»

«أدرك فكرتك» اعترض سكوفيلد باستهزاء «قد تذهب إلى المدرسة الثانوية الكبرى وتختار أبرع ستة طلاب» .

«سأخبرك بما سأفعله - » ولاحظ بارنز أنه قد استبدل بلا وعي «سوف» بـ«قد» ، لكنه لم يصحح لنفسه «سوف أذهب إلى البلدة الصغيرة في ولاية أوهايو حيث ولدت ، ربما لا يتجاوز عدد طلاب الثانوية هناك خمسين أو ستين صبي ، ومن المحتمل أن لا أجد ستة نوابغ ضمن هذا العدد» .

«ثم ماذا؟»

«ثم سأعطيهم فرصة ، وإذا فشلوا ، ستضيَع الفرصة . هذه مسؤولية خطيرة وجادة ، وعليهم أن يأخذوها على محمل الجد . هذا ما لم يمتلكه هؤلاء الأولاد ، كل ما هو مطلوب منهم هو أن

Twitter: @alqareah

يكونوا جادين في الأمور التافهة» فكر للحظة وأضاف «سأقوم بالأمر.»

«تقوم بماذا؟»

«سأرى».

بعدها بأسبوعين عاد إلى البلدة الصغيرة بولاية أوهايو أين ولد، وأين كان يحس بالعواطف المندفعة لشبابه وهي لا تزال تخيم على الشوارع الهادئة. أجرى مقابلة مع مدير الثانوية الذي قدم اقتراحات؛ أما بالنسبة له، وبسبب صعوبة وسائل إلقاء خطاب وحضور حفل استقبال بعده، فقد تواصل مع المدرسين والتلاميذ. ثم قدّم تبرعات للمدرسة، وتحت هذا الغطاء أتيحت له الفرص لمراقبة الأولاد أثناء العمل واللعب.

كان الأمر ممتعا، فقد أحس من جديد بشبابه. وكان هناك بعض الفتيان الذين أحبهم على الفور، وبدأ عملية الغربلة بدعوتهم في مجموعات من خمسة أو ستة إلى منزل والدته. كان الأمر أشبه إلى حد ما بالتحاق طالب جديد بأخوية. وعندما كان يثير اهتمامه أحدهم، كان يتحرى سجله وسجل أسرته، ومع نهاية الأسبوعين كان قد اختار خمسة فتيان. في الترتيب الذي اختارهم على أساسه، كان هناك أولا أوتو شلاخ، وهو ابن أحد المزارعين والذي أظهر بالفعل كفاءة ميكانيكية غير عادية وموهبة في الرياضيات. وقد أوصى معلموه به، ورحب بدوره بالفرصة التي عرضت عليه لدخول

Twitter: @alqareah

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا .

أما الثاني فهو «جيمس ماتسكو» ، الإرث الوحيد الذي خلفه أب سكير لهذه المدينة التي شب فيها بارنز . ومن سن الثانية عشرة ، دعم جيمس نفسه بالمحافظة على متجر لبيع الصحف والحلوى ذو واجهة بطول ثلاثة أقدام . والآن في السابعة عشرة يُقال أنه قد ادخر خمسمائة دولار . ووجد بارنز صعوبة في إقناعه بدراسة اقتصاد البنوك بجامعة كولومبيا ، ذلك أن ماتسكو قد تأكد مسبقا من قدرته على كسب المال . لكن بارنز كان يحظى بهيبة باعتباره أكثر أبناء المدينة نجاحا ، ولقد أقنع ماتسكو أنه بطريقة أخرى قد يفقد الواجهة ، كمصدر رزقه الوحيد .

ثم كان هناك جاك ستابس ، الذي فقد ذراعه أثناء الصيد ، لكن على الرغم من إعاقته فقد لعب في فريق الثانوية لكرة القدم . لم يكن من بين المتفوقين في الدراسة ؛ ولم يطور أي ميول ؛ لكن واقع أنه قد تجاوز هذه الإعاقة الهائلة بما فيه الكفاية للعب كرة القدم- وليراوغ بالكرة ويلتقط البونتات- قد أقنع بارنز أن لا عائق بإمكانه الوقوف في طريق جاك ستابس .

وكان الخيار الرابع جورج وينفيلد ، الذي كان يبلغ من العمر تقريبا عشرين سنة . وقد ترك المدرسة في الرابعة عشر من عمره بسبب وفاة والده ، وساعد في إعالة عائلته لمدة أربع سنوات ، بعد ذلك ، سارت الأمور على نحو الأفضل ، فعاد

Twitter: @alqareah

لينهي المرحلة الثانوية . وبالتالي فقد شعر بارنز أن وينفيلد من شأنه أن يضيف قيمة مهمة مع التعليم .

بعد ذلك يأتي الصبي الذي وجده بارنز شخصيا بغيضا . كان لويس ايرلند في وقت ما أكثر الطلبة براعة وأكثرهم صعوبة في المدرسة . كان قذرا ، متمردا وغريب الأطوار ، يرسم في آخر كتابه للاتينية رسوما كاريكاتورية بذيئة ، ولكن عندما يطّلب منه فإنه يقوم بإلقاء بديع . كانت هناك موهبة كبيرة تولد في مكان ما بداخله ، فكان يستحيل تركه خارج القائمة .

أما الخيار الأخير فقد كان الأكثر صعوبة . فالفتيان المتبقين كانوا متوسطين ، أو على الأقل كانوا بعيدين عن إظهار أي صفات تميزهم عن غيرهم . ولفترة أخذ بارنز بعين الاعتبار ، وهو يفكر بوطنية في جامعته القديمة ، كابتن كرة القدم ، وهو ظهير مساعد بارع ، والذي قد يكون موضع ترحيب في أي فريق شرقي . لكن هذا من شأنه أن يدمر سلامة الفكرة .

وأخيرا اختار فتى أصغر سنا ، غوردون فاندرفر ، وهو ذو صيت نوعا ما أعلى من البقية . كان فاندرفر أوسم فتى وواحدا من الفتيان الأكثر شعبية في المدرسة . وكان ينوي الالتحاق بالكلية ، لكن والده ، القس المنهك ، كان سعيدا لرؤية الأمور تتيسر .

كان بارنز راضيا عن نفسه ، وأحس أنه يشبه إله في قدرته على التدخل لقلب تلك المصائر المختلفة . لقد أحس كما لو

Twitter: @alqareah

أنهم كانوا أبناءه ، و ابرق إلى سكوفيلد في مينيابوليس :

لقد اخترت نصف دزينة من الآخرين ، وأنا أراهن العالم عليهم .

والآن ، بعد كل هذه السيرة ، تبدأ القصة . . . .

انقطع ترابط النسيج . فقد طرد الفتى تشارلي سكوفيلد من مدرسة هوتشكيس ، كانت مأساة بسيطة لكنها مؤلمة . فقد خرق هو وأربع فتيان آخرين ، فتيان لطفاء وذوو شعبية ، ميثاق الشرف وذلك بتعاطي السجائر . وأثرت هذه المسألة في والد تشارلي بعمق ، بين خيبة أمله في ابنه وغضبه من المدرسة . وعاد تشارلي إلى المنزل في مينيابوليس في مزاج يائس واتجه إلى مدرسة البلدة في انتظار أن يقرر ما سيفعله .

مع انتصاف الصيف لم يكن قد فصل في الأمر بعد . وبما أن المدارس كانت في عطلة ، فقد أمضى وقته في لعب الغولف ، أو الرقص في نادي «مينيكدا» . كان فتى وسيما في الثامنة عشرة من العمر ، لكن يبدو أكبر من سنه بطريقة ساحرة ،لم تكن له عيوب خطيرة ، إلا أنه كان يميل إلى التأثر بسهولة بمن يكن لهم الإعجاب .

في الوقت الحالي كان إعجابه الكلي بغلاديس ايرفينغ ، وهي امرأة شابة متزوجة بالكاد تكبره بسنتين . سحبها إلى الرقص في النادي ، وقد شعر بانجذاب عاطفي تجاهها ، على الرغم من أنها كانت مغرمة بزوجها ، وما أرادته من تشارلي هو

Twitter: @alqareah

فقط التأكيد على شبابها وسحرها ، فالحسناء غالبا ما تحتاج إلى هذا بعد طفلها الأول .

وبينما هو جالس معها ذات ليلة على الشرفة في نادي لافاييت ، أحس تشارلي بضرورة التفاخر أمامها ، والإدعاء بأنه أكثر خبرة ، وبالتالي قادر أكثر على توفير الحماية . قال لها : «لقد رأيت الكثير من الحياة في سني هذا ، وقمت بأشياء لا يمكنني حتى أن أحدثك عنها» لكنها لم ترد .

«في الواقع الأسبوع الماضي-» بدأ حديثه وقد فكر جيدا فيما سيقوله «على أي حال لا أعتقد أنني سأذهب إلى جامعة ييل السنة المقبلة ، سيتحتم علي الذهاب شرقا في الحال ، وأن أتلقى دروسا طيلة الصيف . وإذا لم أذهب ، فهناك عمل شاغر في مكتب والدي ؛ وبعد أن يعود ويستر إلى الكلية في الخريف ، سآخذ السيارة لي» .

«ظننت أنك كنت ذاهبا إلى الكلية» قالت غلاديس ببرود .

«لقد كنت ، لكنني فكرت في الأمر ، والآن أنا لا أعرف . عادة ما كنت أتوافق مع فتيان أكبر مني ، فأنا أشعر أنني أكبر من أقراني ، وأحب الفتيات الأكبر سنا ، على سبيل المثال» وعندما نظر إليها تشارلي بدا لها فجأة وعلى غير العادة جذابا ، لابد أنه من اللطيف جدا أن يكون معها هنا ، ويقاطعها في الرقصات طوال الصيف . لكنها قالت له : «لابد وأنك أحمق لتبقى هنا .»

Twitter: @alqareah

«لماذا؟»

«لقد بدأت بشيء ، ويجب عليك أن تستمر فيه . بعد بضع سنوات من التجول في البلدة ، لن تكون صالحا لفعل أي شيء» .

«هل تعتقدين ذلك» قال بشكل متساهل .

لم تشأ غلاديس أن تؤذيه أو تدفع به بعيدا عنها ، مع ذلك أرادت أن تقول شيئا أقوى .

«هل تعتقد أنني سأبتهج عندما تقول لي أنه كان لك الكثير من النزوات؟ لا أرى كيف يمكن لأي أحد أن يدعي أنه صديقك ويشجعك على ذلك . لو كنت مكانك ، لكنت اجتزت على الأقل امتحانات الكلية . حينها لا يمكنهم القول أنك قد تخليت عن الأمر بعدما طردت من المدرسة» .

«هل تعتقدين ذلك؟» قال تشارلي بهدوء وبأسلوبه الرزين والناضج ، كما لو أنه يتحدث إلى الطفل . لكنها أقنعته ، لأنه كان مغرما بها وكانت محور اهتمامه .

«يا أنا ، يا أنا ، يا أنت» كانت آخر موسيقى رقصا عليها الأربعاء الماضي ، وكان ذلك واحدا من تلك الأوقات .

وسمحت له غلاديس بالتباهي أمامها ، مخفية فضولها تحت قناع من الصحبة ، وإن كانت قد تفهمت تقديره لذاته كرجل ناضج ، فإن أي إلحاح من والده لن يكون مهما . وكذلك كان ، فقد دخل تشارلي إلى الكلية ذلك الخريف ، بفضل

Twitter: @alqareah

الذكريات الأليفة لفتاة عن حلاوة نجاح الشباب في مجالاتهم . وقد كان ما فعله مناسبا لوالده ، وإن لم يفعل ، فإن كارثة أخيه الأكبر ويستر في ذلك الخريف كان من شأنها أن تحطم قلب سكوفيلد .

في صباح اليوم الموالي لمباراة هارفارد نشرت الصحف النيويوركية عنوانا :

فتيان ييل وفتيات طائشات في تحطم سيارة بالقرب من «راي» .

إيرين دالي في مستشفى غرينتش وتهدد
برفع دعوى جمال

ابن مليونير متورط في الحادثة

بعد أسبوعين من الحادثة ، أتى الأولاد الأربعة لدى العميد ، وقد استدعي ويستر سكوفيلد ، الذي كان يقود السيارة ، أولا .

«لم تكن سيارتك ، سيد سكوفيلد» قال العميد «بل كانت سيارة السيد كافينو ، أليس كذلك؟»

«نعم سيدي .»

«كيف حدث وأن كنت أنت من يقود؟»

«الفتيات هن من أردن مني ذلك ، لم يشعرن بالأمان .»

«لكنك كنت ثملا أنت أيضا ، أليس كذلك؟»

«نعم ، لكن ليس كثيرا .»

Twitter: @alqareah

«قل لي» سأل العميد «هل سبق وأن قدت سيارة وأنت في حالة سكر ، قد تكون شربت فيها أكثر من تلك الليلة؟»

«ربما مرة أو مرتين ، لكن لم أتعرض أبدا لحادث . وهذا الحادث كان واضحا أن لا سبيل لتجنبه» .

«هذا ممكن» وافق العميد «لكن علينا أن ننظر إلى الأمر بهذه الطريقة : حتى هذا الوقت لم تتعرض لأي حادث حتى عندما كنت تستحق ذلك . والآن تعرضت لواحد عندما لم تكن تستحق ذلك . أنا لا أريدك أن تخرج من هنا وأنت تشعر بأن الحياة أو الجامعة أو أنا نفسي لم ننصفك ، يا سيد سكوفيلد . لكن الصحف قد منحت هذا الحادث قدرا كبيرا من الشهرة ، وأنا أخشى أن الجامعة ستضطر إلى الاستغناء عنكم» .

بعدها انتقل العميد عبر هذا النسيج إلى هاورد كافينو ، وأعاد كلامه نفسه بصورة عامة .

«أنا متأسف خصوصا في حالتك ، سيد كافينو . لقد قدم والدك منحا سخية إلى الجامعة ، وقد كنت أستمتع بمشاهدتك تلعب الهوكي بتألقك المعتاد خاصة في الشتاء الماضي .»

غادر هاورد كافينو المكتب ولم يستطع التحكم في دموعه التي كانت تجري على خديه .

بما أن ايرين دالي قد رفعت دعوى بتدمير حياتها ، وتدمير جمالها ، والتي كانت موجهة ضد مالك السيارة وسائقها ، فقد

Twitter: @alqareah

كانت هناك عقوبات مخففة على باقي ركاب السيارة . وجاء بو لوبوم إلى مكتب العميد بذراعه المجبورة ورأسه الجميل ملفوف في الضمادة حيث تم فصله بشكل مؤقت لما تبقى من هذه السنة . وقد تقبل الأمر برضا وودع العميد بابتسامة مبتهجة بدت من خلال الضمادات .

أما الحالة الأخيرة فقد كانت الأصعب . دخل جورج وينفيلد ، الذي التحق متأخرا بالمدرسة الثانوية بعد أن علمته الحياة العملية قيمة التعليم ، إلى مكتب العميد وهو ينظر في الأرض .

«لا أستطيع أن أفهم تورطك في هذه القضية» قال عميد «أنا أعرف السيد بارنز ، المُحسن إليك ، شخصيا . وقد أخبرني كيف أنك تركت المدرسة للذهاب إلى العمل ، وكيف عدت إليها بعد أربع سنوات لمواصلة تعليمك ، وقد شعر أن موقفك تجاه الحياة كان جادا بالأساس . وحتى هذه اللحظة كان لك سجل جيد هنا في نيو هافن ، ولكن أحزنني منذ بضعة أشهر ركضك مع حشد من المستهترين ، فتيان مع قدر كبير من المال لينفقوه . أنت كبير بما يكفي لتدرك أنه لا يمكنهم بأية حال أن يمنحوك من الوسائل المادية بقدر ما يأخذوه منك بوسائل أخرى . لقد قررت فصلك لمدة سنة . وإذا عدت ، فكلي أمل أنك ستثبت استحقاقك للثقة التي وضعها السيد بارنز بك» .

Twitter: @alqareah

«لن أعود» قال وينفيلد «لا يمكنني أن أواجه السيد بارنز بعد هذا . ولن أعود إلى الديار أيضا» .

في الدعوى التي رفعتها ايرين دالي ، كذب أربعتهم ولاءً لويستر سكوفيلد . وقالوا أنهم قبل أن يصلوا إلى محطة البنزين رأوا الآنسة إيرين دالي تنتزع العجلة . غير أن الآنسة دالي كانت هناك في المحكمة ، بوجهها المألوف لدى الصحف ، والذي لا يزال مجروحا ، وقد قدم محاميها رسالة تلغي فيها عقد الفيلم الأخير . بدت حالة الطلاب سيئة ؛ لذا وخلال الاستراحة ، وبناء على نصيحة محاميهم ، استقروا على مبلغ أربعين ألف دولار . أثناء مغادرة قاعة المحكمة ، تلقفت مجموعة المصورين ويستر سكوفيلد وهاورد كافينو ، وعززت في تأجيج صيتهم السيئ في اليوم الموالي .

في تلك الليلة ، انطلق ويستر ، فتيان مينيابوليس الثلاث ، وهوارد وبو لوبوم إلى الديار . ودعهم جورج وينفيلد في محطة بنسلفانيا ، ولم يكن له أي منزل يذهب إليه ، فتوجه إلى نيويورك ليبدأ حياة جديدة هناك . ومن بين كل الذين يرعاهم بارنز ، كان جاك ستابس ، بذراعه الواحدة ، المفضل لديه . وقد كان الأول الذي بلغ الشهرة ، عندما لعب في فريق التنس لجامعة برينستون ، وقد نشر قسم التصوير الروتوغرافي صورا له وهو يستهل اللعب برمية منه . وعندما تخرج أخذه بارنز إلى مكتبه ، وكثيرا ما كان يقال أنه ابنه بالتبني .

Twitter: @alqareah

ستابس وشلاخ ، اللذان أصبحا الآن مهندسان استشاريان بارعان ، كانا أكثر تجارب بارنز إرضاء ، مع أن جيمس ماتسكو ومع بلوغه السابعة والعشرين من العمر كان قد اتخذ شريكا في دار وول ستريت للسمسرة . ومن الناحية المادية ، كان أكثر الستة نجاحا ، حتى أن بارنز وجد نفسه مستوحشا إلى حد ما من أنانيته الشديدة . وقد تساءل أيضا ما إن كان حقا قد لعب أي دور في مسيرة ماتسكو المهنية ، وهل يهم بعد كل هذا سواء كان ماتسكو شخصية مهمة في مجال التمويل بالعاصمة أو تاجرا كبيرا في الوسط الغربي ، بما انه قد استطاع تحقيق هذا بلا شك دون أي مساعدة على الإطلاق .

في صباح أحد أيام سنة ١٩٣٠ ، أعطى بارنز لجاك ستابس الرسالة التي أدت إلى الموازنة بين الفتيان .

«ما رأيك بهذا؟»

كانت الرسالة من طرف لويس أيرلند في باريس . لم يكونا متفقين حول لويس ، وبينما كان جاك يقرأ الرسالة ، كان يستعد مرة أخرى ليتشفع لصالحه .

سيدي العزيز :

«بعد رسالتك الأخيرة التي كانت عبر المصرف الذي تتعامل معه هنا والمُرفقة بالشيك الذي اعترف به ، لا أشعر أبدا بأنني تحت أي التزام لأكتب لك . لكن نظرا إلى أن الحقيقة الملموسة للقيمة التجارية لشيء ما قد تحركك ، في حين أنك

Twitter: @alqareah

لا تزال غير مكترث تماما لقيمة الفكرة المجردة ، فإنني أكتب لأخبرك أن معرضي قد حاز نجاحا منقطع النظير . ولتقريب المسألة أكثر إلى مستواك الفكري ، يمكنني أن أخبرك بأنني قد بعت قطعتين : رأس لاليت ، الممثلة ، ومجموعة حيوانات من البرونز ، بمجموع سبعة آلاف فرنك (٢٨٠,٠٠$) . وعلاوة على هذا ، لدي مهام ستشغلني طيلة صيف - سأرفق عينة لي مأخوذة من مجلة CAHIERS D'ART ، والتي ستظهر لك أنه مهما كان تقديرك لقدراتي ومسيرتي ، فإنها دون شك متفق عليها .

وهذا لا يعني أنني غير ممتن لمحاولتك بحسن نية «تثقيفي» . وأعتقد أن جامعة هارفارد لم تكن أسوأ من أي مدرسة داخلية رفيعة ، والسنوات التي أضعتها هناك منحتني موقفا صارما وموثوقا من الحياة والمؤسسات الأمريكية . لكن عرضك بأن آتي إلى أمريكا لأجل صنع حوريات موحدة لنافورات المستثمرين كان قليلا جدا-»

رفع ستابس بصره وابتسم .

«حسنا» قال بارنز «ما رأيك؟ هل هو مجنون أم أنه الآن وقد باع بعض التماثيل ، أثبت أنني مجنون؟»

«لا هذا ، ولا ذاك» ضحك ستابس «أنتَ لم تعترض على موهبة لويس ، لكنك لم تتقبل أبدا خلال تلك السنة محاولته الالتحاق بالدير ، وبعدها القبض عليه في مظاهرات ساكو-

Twitter: @alqareah

فانزيتي[1] ، ثم هروبه مع زوجة البروفيسور» .

«كل ما كان يفعله هو تكوين نفسه» قال بارنز على نحو جاف «فقط يجرب جناحيه الصغيرين . ووحده الله يعلم ما الذي كان يفعله في الخارج» .

«حسنا ، ربما قد كوّن نفسه الآن» قال ستابس بجدية ، فلطالما أحب لويس ايرلند ، وقد عزم سرا أن يكتب له ويرى ما إذا كان يحتاج إلى المال .

«على أية حال ، لقد خرج من مسؤوليتي» أعلن بارنز «ولا يمكنني فعل المزيد لمساعدته أو إيذاءه . لنفترض أننا نعتبر ما قام به نجاحا ، رغم أنه مشكوك جدا فيه ، دعنا نرى إذا كيف نتخذ موقفا . سأذهب إلى مينيابوليس لرؤية سكوفيلد الأسبوع المقبل ، أود تصفية الحسابات . في رأيي ، فإن النجاحين هم

(١) في ١٥ أبريل ١٩٢٠ تعرض موظف وحارس كانا ينقلان أجور موظفي مصنع للأحذية في ساوث براينتي بضاحية بوسطن لعملية سطو تركتهما جريحين على شفير الموت بعد سلبهما الحقيبتين اللتين تحويان الأموال . وفي ٥ ماي ١٩٢٠ اوقفت الشرطة ساكو وفانزيتي في الترامواي يحملان سلاحا فاودعا السجن بتهمة حمل اسلحة محظورة واتهمتهما الشرطة فيما بعد ودون ادلة بعملية السطو وقتل الموظف والحارس . و أدى هذا إلى مظاهرات و فوضى أشبه بالحرب الأهلية يقودها الفوضويون . و قد تمت تبرأتهما بعد خمسين سنة من إعدامهما .

Twitter: @alqareah

أنت ، أوتو شلاخ ، وجيمس ماتسكو ، مهما يكن رأينا فيه كرجل ، ودعنا نفترض أن لويس ايرلند سيصبح نحاتا عظيما . فالمجموع إذا أربعة . لينفيلد اختفى ، ولم يتصل بي قط» .

«ربما هو يبلي بلاء جيدا في مكان ما .»

«إن كان كذلك ، أعتقد أن من واجبه إعلامي . علينا اعتباره فاشلا حتى الآن إلى غاية انتهاء تجربتي . ثم هناك جوردون فاندرفير» .

ظل كلاهما صامتا للحظة .

قال بارنز : «لا يمكنني تمييز الأمر فيما يخص جوردون» وأضاف «انه شخص لطيف حقا ، لكن منذ أن غادر الكلية ، لم يبدو أنه قد نجح . كان أصغر سنا من بقيتكم ، وكانت لديه أفضلية سنتين في مدرسة اندوفر قبل أن يذهب إلى الكلية ، وقد أذهلهم في جامعة برينستون ، كما تقول . لكن يبدو أنه قد أرهق جناحيه ، ولمدة أربع سنوات لم يقم بأي شيء على الإطلاق ؛ لم يستطع الاحتفاظ بوظيفة ، ولا تركيز ذهنه على عمله ، ولا يبدو أنه يهتم . أنا على وشك إنهاء علاقتي بجوردون» .

في هذه اللحظة أُعلن عبر الهاتف عن قدوم جوردون .

«إنه يسأل عن موعد» أوضح بارنز «أفترض أنه يرغب في محاولة شيء جديد» .

دخل شاب حسن المظهر إلى المكتب بأسلوب سلس وجذاب .

Twitter: @alqareah

«مساء الخير ، عم إدي . مرحبا جاك!» جلس جوردون وقال «معي الكثير من الأخبار .»

«عن ماذا؟» استفسر بارنز .

«عني»

«أنا أعلم . لقد عُينتَ للتو لترتيب عملية اندماج بين ج . ب . مورغان وجسر كوينزبيرغ» .

«صحيح أنها عملية دمج» أقر فانديرفر «لكن تلك ليست هي الأطراف المشتركة فيها ، أنا مرتبط وسأتزوج» .

حدق به بارنز .

وواصل فاندرفر «اسمها هو استر كروسبي» .

«اسمح لي أن أهنئكم» قال بارنز بتهكم «أفترض أنها قريبة «هـ . ب . كروسبي»» .

«بالضبط» قال فاندرفر بهدوء «في الواقع هي ابنته الوحيدة» .

ساد الصمت للحظة في المكتب ، ثم انفجر بارنز :

«هل ستتزوج ابنة هـ . ب كروسبي؟ هل يعلم أنك في الشهر الأخير تقاعدت بناء على طلب من أحد بنوكه؟»

«أخشى انه يعرف كل شيء عني ، فقد أجرى بحثا عني على مدى أربع سنوات . أترى عم إدي» وتابع بمرح «لقد ارتبطنا أنا واستير خلال سنتي الأخيرة في برينستون ، وكانت قد حضرت إلى حفلة منزلية مع زميلي في الغرفة ، لكنها

Twitter: @alqareah

استبدلته بي . حسنا ، لم يكن على السيد كروسبي أن يعلم عن الأمر بطبيعة الحال حتى أثبت نفسي» .

«تثبت نفسك!» كررها بارنز «هل تعتقد أنك قد أثبت نفسك؟»

«حسنا! نعم .»

«وكيف ذلك؟»

«عن طريق الانتظار لأربع سنوات . كما ترى ، كنا سنضطر ، سواء أنا أو استير ، لتزوج أي شخص آخر في ذلك الوقت ، لكننا لم نفعل . وبدلا من ذلك سعينا نوعا ما إلى تغيير رأيه ، وكان هذا حقا هو السبب الذي جعلني غير قادر على أن أنكب على أي شيء . السيد كروسبي صاحب شخصية قوية ، وقد استغرق مني الكثير من الوقت والجهد لتغيير رأيه . أحيانا لم كن نلتقي أنا واستير لعدة أشهر ، ولهذا السبب لم تكن تستطيع حتى الأكل ، وعندما أفكر أنا بذلك لا أستطيع الأكل بدوري ، وبالتالي لا أستطيع أن أعمل-»

«هل تقصد انه حقا قد منح موافقته؟»

«لقد وافق الليلة الماضية .»

«وهل سيتركك تتسكع؟»

«كلا ، أنا واستير سنتجه إلى السلك الدبلوماسي ، إنها تعتقد أن العائلة قد اجتازت مرحلة البنوك» .

ثم غمز لستابس «سأبحث عن لويس ايرلند عندما أصل

Twitter: @alqareah

إلى باريس ، وسأرسل للعم إيدي تقريرا» .

فجأة قهقه بارنز .

«حسنا ، كان كل شيء في صندوق اليانصيب» قال «وعندما اخترتكم أنتم الستة ، لم أكن لأخمن ما سيحدث» ثم التفت إلى ستابس وسأله : «هل علينا أن نضعه في خانة النجاح أم الفشل؟»

«النجاح الفائق» قال ستابس «سنضعه على رأس القائمة .»

بعد أسبوعين كان بارنز مع صديقه القديم سكوفيلد في مينيابوليس . وتذكر المنزل مع الأولاد الست عندما رآه في آخر مرة ، والآن يبدو كما لو أنه يحمل ندوبا لهم ، كتلك الآثار التي تخلفها الصور على الجدران التي حفظتها طويلا من علامات الزمن . ولأنه لم يكن يعرف ما صار إليه أبناء سكوفيلد ، فقد امتنع عن الإشارة إلى محادثتهما قبل عشر سنوات حتى يعرف ما إذا كان الخوض في هذه الأرضية خطرا أم لا . وكان مسرورا لتحفظه في وقت لاحق من المساء عندما تحدث سكوفيلد عن ابنه الأكبر ، ويستر .

«لم يبدو أبدا أن ويستر قد وجد نفسه ، مع انه كان ولدا مفعما بالحماس! كان القائد في كل مجموعة انضم إليها ؛ وكان بإمكانه دائما جعل الأمور تسير . عندما كان صغيرا ، دائما ما كان منزلنا الذي في البلدة أو الذي بجوار البحيرة

Twitter: @alqareah

يعجان بالشبان . لكن بعد أن غادر جامعة ييل ، فقد اهتمامه بالأشياء ، وصار يحس بنوع من الاحتقار تجاه كل شيء . لفترة اعتقدت أن هذا كان بسبب إفراطه في الشرب ، لكنه تزوج من فتاة جميلة وتولت هي أمره . إلى الآن ، ليس لديه أي طموح ، وقد تحدث عن الحياة في الريف ، لذلك اشتريت له مزرعة لتربية الثعالب الفضية ، لكن هذا لم ينجح ؛ وأرسلته إلى فلوريدا خلال فترة الازدهار ، ولم يكن الأمر بالأفضل . الآن لديه اهتمام بمزرعة في مونتانا . لكن منذ الكساد-»

رأى بارنز فرصته وسأل :

«ما الذي حدث لهؤلاء الفتيان ، أصدقاء أبنائك الذين التقيت بهم ذات يوم؟»

«حسنا! أتساءل من الذي تقصده . لقد كان هناك كافينو ، من صفوة المجتمع كما تعلم ، وكان يتردد علينا بكثرة .

لنرى ، لقد هرب مع فتاة من الشرق ، ومنذ بضع سنوات قاد هو وزوجته هنا حشدا من المستهترين ، وأفرطا في الشرب ولا شيء غير هذا . يبدو لي أنني سمعت مؤخرا أن هاورد قد حصل على الطلاق . ثم كان هناك الأخ الأصغر ، الذي لم يستطع أبدا الالتحاق بالكلية . وفي الأخير تزوج من مختصة في تقليم الأظافر ، وعاشا إلى حد ما بهدوء هنا . لا نسمع الكثير عنهما» .

تذكر بارنز كيف أن هالة من السحر كانت تحيط بهم ، لقد

Twitter: @alqareah

كانوا واثقين جدا من أنفسهم ، بشكل فردي ، وكمجموعة ؛ أصحاب روح عالية جدا ، إفريز من الشباب اليوناني ، رشيقو الجسم ، وعلى استعداد للحياة .

«ثم لاري بات ، لابد وأنك قد التقيت به هنا . لاعب غولف رائع . لم يستطع البقاء في الكلية ، يبدو أنه لم يكن هناك ما يكفي من الهواء النقي بالنسبة للاري» وأضاف مدافعا :

«لكنه استثمر فيما أمكنه عمله ، فافتتح محلا للسلع الرياضية ونجح فيه ، أفهم هذا . ويمتلك الآن سلسلة من ثلاث أو أربع محلات» .

«أذكر واحدا من بينهم كان وسيما للغاية .»

«أوه ، تقصد بو لوبوم ، لقد تورط هو الآخر في الفوضى التي حدثت في نيو هيفن . بعد ذلك انهار ، ولجأ إلى الشرب وأشياء من هذا القبيل . جرب والده كل شيء ، والآن لم يعد له ما يفعله معه» وامتقع وجه سكوفيلد فجأة ، وتوهجت عيناه .

«لكن دعني أخبرك أمرا! لدي فتى - تشارلي العزيز! لم أكن لأقايضه بالكثيرين منهم . سيأتي الآن ، وستراه . كانت بدايته سيئة ، تورط في مشاكل في هوتشكيس - لكن هل تخلى عن الدراسة؟ إطلاقا ، بل عاد وقدم مستوى جيدا في نيو هافن ، وجمعية طلبة التخرج وما إلى ذلك . ثم انطلق هو ومجموعة من الفتيان في رحلة حول العالم ، وبعد ذلك جاء

Twitter: @alqareah

إلى هنا وقال : «حسنا يا أبي ، أنا مستعد ، متى أبدأ؟» . لا أعرف ماذا سأفعل دون تشارلي . لقد تزوج قبل بضعة أشهر بأرملة شابة لطالما كان مغرما بها . ولا أزال أنا وأمه نشتاق له ، على الرغم من أنهما يزوراننا غالبا-» .

كان بارنز سعيدا بهذا ، وفجأة شعر بالارتياح لعدم إنجابه ولدا من صلبه . قد يكون ولد من اثنين صالحا وأحيانا يكون أفضل ، وأحيانا لا ، لكن مجرد التقدم في السن وحيدا في حين أنك توقعت الكثير من أبناءك - .

تابع سكوفيلد كلامه قائلا : «يدير تشارلي الأعمال ، هو وشاب آخريدعى وينفيلد طلب مني ويستر توظيفه قبل خمس أو ست سنوات . وقد شعر ويستر بالمسؤولية تجاهه ، وشعر انه هو من ورطه في هذه المشاكل في نيو هافن ، ولم يكن للفتى عائلة . إنه يبلي بلاء حسنا هنا» .

ها هو واحد آخر من ستة بارنز يربح! شعر بموجة من الانتصار ، لكنه رأى انه يجب أن يحتفظ بها لنفسه . بعد قليل عندما سأله سكوفيلد إذا كان قد نفذ نيته بإدخال بعض الأولاد إلى الكلية ، تجنب الرد .

بعد كل شيء ، لكل لحظة قيمتها ، ويمكن أن تكون موضع تساؤل في ضوء ما بعد الأحداث ، لكن اللحظة باقية . الشباب الأمراء المتشحين بالمخمل وقد اجتمعوا في ألفة محببة حول الملكة وسط صمت الستائر المترفة ، قد يكبرون الآن ليصبحوا

Twitter: @alqareah

«بيدرو القاسي»[١] أو «تشارلز المجنون»[٢] ، لكن لحظة الجمال كانت هناك . بالعودة عشر سنوات إلى هناك ، كان سكوفيلد يرى أبناءه وأصدقائهم كساموراي ، كشيء مشرق ومجيد وفتي ، ربما كشيء كان قد فوّته في شبابه . وكان هناك في وقت لاحق ثمن يجب أن يدفعه هؤلاء الفتيان ، وأن يوفوا به جميعا ، وقد مالت بهم كفة ميزان حياتهم نحو شبابهم وبالتالي سيكون كل شيء بعد ذلك خيبة أمل لا محالة . هؤلاء الفتيان ترعرعوا كما الأمراء مع عدم تحملهم مسؤوليات الأمراء! لم يعرف بارنز كم عانت والداتهم في التعامل حيال هذا الأمر ، وما الذي افتقرن له .

لكنه كان سعيدا إذ كان لصديقه سكوفيلد ابن حقيقي . أما بالنسبة لتجربته الخاصة ، فلم يندم عليها ، لكنه لن يعيدها مرة أخرى . ربما أثبتت شيء ما ، لكنه لم يكن متأكدا تماما من ماهيته . ربما أن الحياة تتجدد باستمرار ، ويفسح التألق والجمال لها الطريق . كان سعيدا لكونه قادرا على الشعور بأن بإمكان الجمهورية تدارك أخطاء جيل بأكمله ، بدفع الفضلات جانبا ،

(١) هو بيدرو ملك قشتالة و قد لُقب بالقاسي نظرا للطريقة الوحشية التي قضى بها على أعداءه

(٢) هو شارل السادس أحد ملوك فرنسا و قد ظهرت عليه بوادر الجنون في العشرينيات من عمره .

Twitter: @alqareah

وبعث من هو حيوي وقوي إلى المقدمة . لكن كان سيئا جدا وأمريكيا بامتياز أن تكون كل الفضلات في القمة ، وأحس أنه قد لا يعيش طويلا بما فيه الكفاية ليرى نهاية الأمر ، ويرى الخطورة الكبرى والفرصة الكبرى مجتمعتان في رداء واحد ، ويشهد آخر المطاف .

Twitter: @alqareah

الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

-١-

منذ فترة طويلة في ١٨٦٠ ، كان من الأنسب أن تلد النساء في البيت . أما في الوقت الحاضر ، حسب ما قيل لي ، فقد قرر أرباب الطب أن الصرخات الأولى للصغير يجب أن تلفظ في هواء المستشفى المخدر ، ويفضل أن يكون المستشفى مرموقا . وبالتالي فقد كان السيد والسيدة روجر يسبقان عصرهما بخمسين عاما عندما قررا ، في أحد أيام صيف عام ١٨٦٠ ، أن طفلهما الأول يجب أن يولد في المستشفى . ولن نعرف أبدا ما إذا كان لهذه المفارقة التاريخية أي تأثير على القصة المذهل التي أنا بصدد قصها عليكم .

علي أن أقول لكم ما حدث ، وأترك لكم أن تحكموا بأنفسكم .

تعرضت عائلة روجر بُتن إلى موقف تحسد عليه ، سواء اجتماعيا أو ماليا ، قبل الحرب الأهلية بباتيلمور . وكانت لهم روابط مع عائلات فلان وعلان ، ما يؤهلهم ، كما يعلم كل جنوبي ، للانضمام إلى الطبقة النبيلة التي كانت تضم عددا كبيرا في الجنوب الأمريكي في تلك الفترة . وكانت هذه هي تجربتهما الأولى مع العادة القديمة الساحرة في إنجاب الأطفال .

Twitter: @alqareah

ومن الطبيعي أن يكون السيد بُتن قلقا ، فقد كان يأمل أن يكون المولود صبيا حتى يتمكن من إرساله إلى جامعة ييل في كونيتيكت ، المعهد الذي كان السيد بُتن نفسه يُلقب فيه ، ولأربع سنوات ، بـ«الصفعة» وهو لقب تافه إلى حد ما .

في صباح سبتمبر المخصص للحدث العظيم ، استيقظ السيد بُتن على الساعة السادسة بعصبية ، ارتدى ملابسه ، وضبط ربطة عنقه ، وسار مسرعا عبر شوارع بالتيمور إلى المستشفى ، ليعلم ما إن كان طفله قد رأى النور في ظلمة الليل .

عندما كان على مقربة مائة متر من المستشفى الخاص لماريلاند ، رأى الدكتور كين ، طبيب العائلة ، ينزل من الدرج المقابل ، وهو يفرك يديه كأنه يغسلهما ، كما يفعل كل طبيب في واحدة من آداب مهنتهم المتفق ضمنا عليها .

بدأ السيد روجر بوتن ، رئيس شركة روجر وشركاؤه ، لبيع الخردوات بالجملة ، في الركض تجاه الدكتور كين وقد أظهر وقارا أقل مما كان متوقعا من رجل نبيل من الجنوب في تلك الفترة المجيدة .

«دكتور كين!» ناداه «أوه ، يا دكتور كين!»

سمعه الطبيب ، واستدار نحوه ، ووقف ينتظره ، وقد بدا على ملامحه القاسية تعبير فضولي ، وقد لاحظ السيد بُتن وجهه الطبي عندما اقترب منه .

Twitter: @alqareah

«ماذا الذي حدث؟» سأل السيد بوتن وهو يلهث «ما الذي كان؟ كيف حالها؟ هل هو صبي؟ من هو؟ ماذا-»

«هدئ من روعك!» قال الطبيب كين بحدة، وبدا غاضبا إلى حد ما.

«هل ولد الطفل؟» سأل السيد بوتن متوسلا.

عبس الطبيب كين «نعم، أعتقد ذلك، على نحو ما.» ومرة أخرى ألقى نظرة غريبة على السيد بوتن.

«هل زوجتي بخير؟»

«نعم.»

«هل هو صبي أم فتاة؟»

«ها نحن ذا!» صرخ الدكتور كين في موجة من الغضب «اذهب وانظر بنفسك. يا للفضيحة!» ونطق الكلمة الأخيرة دفعت واحدة، ثم ابتعد وهو يغمغم «هل تتخيل أن مثل هذا الأمر سيخدم سمعتي المهنية؟ حالة أخرى كهذه من شأنها أن تدمرني- أن تدمر أي شخص».

«ما الأمر؟» سأل السيد بوتن في روع «ثلاثة توائم؟»

«لا، ليس ثلاثة توائم!» أجاب الطبيب بنبرة قاطعة «ما الأكثر من هذا؟ يمكنك الذهاب والنظر بنفسك، وابحث على طبيب آخر. لقد كنت أنا من أشرف على قدومك إلى هذا العالم، أيها الشاب، وكنت طبيب عائلتك لمدة أربعين سنة، لكن لا أريد أي صلة بك! لا أريد إطلاقــا أن أراك ولا أيًا من

Twitter: @alqareah

أقاربك مرة أخرى! مع السلامة!»

ثم التفت بحدة ، ودون أي كلمة أخرى صعد إلى عربته ، التي كانت تنتظره على الرصيف ، وابتعد مسرعا .

ظل السيد بوتن واقفا هناك على الرصيف ، مندهشا يرتجف من رأسه إلى أخمص قدميه .

ما الأمر الفظيع الذي حدث؟ وفقد فجأة كل رغبة في الدخول إلى مستشفى ميريلاند الخاص . بعدها ، وبصعوبة بالغة ، أجبر نفسه على صعود الدرج والدخول من الباب الأمامي .

كانت هناك ممرضة تجلس وراء مكتب في عتمة الردهة الكئيبة . متجرعا عاره ، اقترب منها السيد بوتن .

«صباح الخير» قالت وهي تنظر إليه بسرور .

«صباح الخير! أنا . . أنا السيد بتن» .

عندها اعتلى وجه الفتاة الذعر ، فنهضت وبدا أنها على وشك أن تفر من الردهة ، لكنها كبحت نفسها بصعوبة شديدة .

«أريد أن أرى طفلي» قال السيد بتن .

فأطلقت الممرضة صرخة صغيرة : «أوه ، بالطبع!» ثم قالت بهستيرية

«في الطابق الثاني . اصعد إلى الطابق الثاني ، هيا تفضل!»

Twitter: @alqareah

وأشارت إلى الاتجاه ، فاستدار السيد بُتن وهو غارق في عرقه البارد ، وشرع في الصعود إلى الطابق الثاني . في الردهة العلوية توجه إلى ممرضة أخرى والتي اقتربت منه ، وفي يدها طست .

«أنا السيد بتن» قالها بصعوبة «أريد أن أرى-»

كلانك! وقع الطست أرضا محدثا قعقعة وتدحرج في اتجاه الدرج . كلانك! كلانك! وبدأ هبوطا منهجيا كما لو انه يشارك في الرعب العام الذي أحدثه هذا الرجل .

«أريد أن أرى طفلي!» قال السيد بُتن تقريبا صارخا فقد كان على وشك الانهيار .

كلانك! كان الطست قد وصل إلى الطابق الأول . واستعادت الممرضة السيطرة على نفسها ، وألقت نظرة ازدراء شديد على السيد بتن .

«حسنا ، سيد بتن» قالت موافقة بصوت منخفض .

«جيد جدا! لكن لو علمت ما الحالة التي وُضعنا فيها جميعا هذا الصباح! إن هذا فظيع تماما!! يا للفضيحة! لقد أصبحت سمعة المستشفى في الحضيض-» .

«أسرعي!» صرخ بصوت أجش «لا يمكنني تحمل هذا!»

«تعال من هنا إذا ، سيد بتن» .

سحب نفسه خلفها ، وفي نهاية الرواق الطويل وصلا إلى القاعة التي كانت تصدر منها أصوات عواء متنوعة . في الواقع

Twitter: @alqareah

كانت القاعة التي تعرف اليوم باسم «قاعة البكاء» . دخلا ، وقد اصطفت حول الجدران مجموعة من الأسرة المتحركة المطلية بالمينا البيضاء ، وكل منها مزود ببطاقة تقييد عند الرأس .

«حسنا» ، قال السيد بُتن لاهثا «أين هو طفلي؟»

«هناك!» قالت الممرضة .

وتتبع السيد بُتن بعينيه إشارة إصبعها ، وكان هذا هو ما رآه .

في بطانية بيضاء ضخمة لُف وقد حشر جزئيا في واحد من المهود رجل عجوز يبلغ على ما يبدو حوالي سبعين سنة من العمر . كان شعره الخفيف تقريبا أبيض ، ومن ذقنه تتدلى لحية طويلة بلون الدخان ، تتماوج بعبثية ذهابا وإيابا ، يحركها النسيم القادم من النافذة . حدق في السيد بُتن بعينين باهتتين كئيبتين يختبئ فيهما تساؤل محير .

«هل أنا مجنون؟» هدر السيد بوتن ، وقد تحول رعبه إلى غضب شديد «هل هذه إحدى نكات المستشفى المروعة؟»

«لا تبدو كمزحة بالنسبة لنا» أجابت ممرضة بصرامة «وأنا لا أعلم ما إذا كنت مجنونا أم لا ، ولكن هذا بالتأكيد هو طفلك» .

ازداد العرق البارد على جبهة السيد بتن .

أغلق عينيه ، ثم فتحهما ونظر مرة أخرى . لم يكن هناك

Twitter: @alqareah

أي خطأ ، كـان يحـدق إلى رجل في السـبـعين ، رضـيع في السبعين ، الرضيع الذي تتدلى قدماه على جانبي المهد أين وُضع .

كان الرجل العجوز للحظة ينظر بهدوء من واحد إلى آخر ، ثم فجأة تحدث بصوت قديم متصدع .

«هل أنت والدي؟» سأل .

وثب السيد بُتن والممرضة مفزوعين .

«لأنه إذا كنت أنت» قال الرجل العجوز متبرما «فأرجو أن تخـرجني من هذا المكان ، أو على الأقل أن تطلب منهم أن يحضروا لي سريرا أفضل» .

«بالله عليك من أين أتيت؟ من أنت؟» انفجر السيد بُتن محموما .

«لا استطيع أن أقول لك بالضبط من أنا» أجاب متبرما «لأنني ولدت منذ بضع ساعات فقط ، لكن اسمي العائلي هو بالتأكيد بُتن» .

«أنت تكذب! أنت محتال!»

تحول الرجل العجوز بضجر إلى ممرضة «طريقة لطيفة للترحيب بطفل حديث الولادة» واشتكى بصوت ضعيف «لما لا تخبرينه أنه مخطئ؟» .

«أنت مخطئ ، سيد بتن» قالت الممرضة بصرامة «هذا هو طفلك ، وعليك تقبل الأمر . وسنطلب منك أن تأخذه معك

Twitter: @alqareah

إلى البيت في أقرب وقت ممكن - في هذا اليوم» .

«البيت؟» كررها السيد بُتن بارتياب .

«أجل ، لا يمكننا الإبقاء عليه هنا . حقا لا يمكننا ذلك ، أنت تعلم؟»

«هذا أفضل» انتحب الرجل العجوز «هذا المكان مناسب للشباب الذين يحبون الهدوء . مع كل هذا الصراخ والعويل ، لم أستطع أن أغفو ولو قليلا . وعندما طلبت شيئا للأكل» هنا ارتفع صوته إلى نبرة احتجاج «أَحضَروا لي زجاجة من الحليب!»

غرق السيد بُتن في الكرسي بالقرب من ابنه ودفن وجهه بين يديه «يا إلهي!» غمغم في غمرة من الرعب . «ماذا سيقول الناس؟ ماذا يجب أن أفعل؟»

«سيكون عليك اصطحابه إلى المنزل» أصرت الممرضة «حالا!»

حينها تشكلت لدى الرجل المعذب صورة غريبة بوضوح مروع ، صورته وهو يسير في شوارع المدينة المزدحمة رفقة هذا المخلوق المروع .

«لا أستطيع ، لا أستطيع» قال وهو ينذب .

سيتوقف الناس للتحدث معه ، وماذا سيقول؟ سيكون عليه تقديم هذا العجوز السبعيني :

«هذا هو ابني ، لقد ولد صبيحة اليوم .» فيجمع الرجل

Twitter: @alqareah

العجوز البطانية من حوله ويواصلان طريقهما ، مارين بالمحلات المكتظة وسوق الرقيق . للحظة سوداوية تمنى السيد بُتن بشدة أن لو كان ابنه أسودا . ثم يمران بالبيوت الفاخرة في المنطقة السكنية ، ثم يمران بدار المسنين . . . .

«هيا! تمالك نفسك» أمرته الممرضة .

«اسمع» قال الرجل العجوز فجأة «إذا كنت تعتقد أنني سأذهب إلى البيت سيرا على الأقدام في هذه البطانية ، فإنك مخطئ تماما» .

«الرضع يلفون دائما في بطانيات .»

وبنبرة ماكرة حمل الرجل العجوز القماط الأبيض الصغير وقال بتهدج «انظر! هذا هو ما كانوا سيضعونه لي» .

«الرضع دائما يرتدون هذه» قالت الممرضة بتزمت .

حينها قال الرجل العجوز «حسنا!هذا الطفل الذي يحدثك سيخلع ما عليه خلال دقيقتين . هذه البطانية تسبب لي الحكة . كان عليهم على الأقل أن يعطوني إزارا» .

«لا تخلعه! لا تخلعه!» قال السيد بُتن على عجل . ، والتفت إلى الممرضة متسائلا «ماذا سأفعل؟»

«اذهب إلى وسط المدينة واشتري لابنك بعض الملابس» وتبع صوت الابن السيد بُتن إلى الرواق قائلا :

«وعصا ، يا والدي ، أريد أن تكون لي عصا» .

Twitter: @alqareah

-٢-

«صباح الخير» قال السيد بُتن بعصبية للبائع في شركة تشيسابيك لبيع الأقمشة .

«أريد أن أشتري بعض الملابس لطفلي» .

«كم عمر طفلك ، يا سيدي؟»

«حوالي ست ساعات» أجاب السيد بُتن بتلقائية .

«قسم الأطفال هناك في الخلف»

«لا أعتقد ذلك ، لست متأكدا إن كان هذا ما أريد؟ إنه . . هو طفل كبير الحجم بشكل غير اعتيادي ، كبير بشكل استثنائي» .

«توجد لدينا ملابس من الحجم الأكبر» .

«أين هو قسم الصبيان؟» تساءل السيد بتن ، وقد غير موقفه بيأس ، فقد شعر أن البائع لا بد وقد استشف سره المشين .

«هناك»

«حسنا» قال في تردد . وكانت فكرة أن يُلبس لابنه ملابس الرجال بغيضة بالنسبة له .

لو كان فقط بإمكانه إيجاد بدلة أطفال من الحجم الكبير

Twitter: @alqareah

جدا ، قد يحلق له لحيته الطويلة الفظيعة ، ويصبغ الشعر الأبيض بنيا ، وبالتالي يتمكن من إخفاء الأسوأ ، والحفاظ على شيء من احترامه لنفسه ، دون ذكر مكانته الاجتماعية المرموقة في بالتيمور .

ولكن بعد بحث يائس في قسم ملابس الأطفال لم يجد بدلة تناسب المولود الجديد لعائلة بتن . وألقى باللوم على المتجر ، وبالطبع في مثل هذه الحالات فإن المتجر هو دائما الملام .

«كم قلت لي عمر ابنك؟» سأل البائع بفضول .

«انه - في السادسة عشر .»

«أوه ، استسمحك عذرا . اعتقدت أنك قلت ست ساعات ، عليك إذا التوجه إلى قسم الشباب في الجناح التالي» .

توجه السيد بُتن إلى هناك بائسا ، ثم توقف وقد أشرق وجهه ، وأشار بإصبعه إلى دمية العرض الموضوعة في الواجهة .

«هناك!» صاح قائلا «سآخذ هذه البدلة ، التي على دمية العرض» .

حدق به البائع وقال معترضا «لماذا ، هذه ليست بدلة أطفال . هي كذلك ، لكنها بدلة تنكرية ، قد تناسبك أنت!»

«غلفها لي» أصر زبونه بعصبية «هذا ما كنت أريد» .

لم يملك البائع المندهش سوى الخضوع لأمره .

Twitter: @alqareah

عـاد السـيـد بُتن إلى المسـتـشـفى مـرة أخـرى ، ودخل إلى الحضانة وألقى تقريبا بالحزمة على ابنه .

«ها هي ملابسك» ، قال بصوت حاد .

فتح الرجل العجوز الحزمة وأخذ في تفحص محتوياتها بمكر .

«تبدو نوعا ما مضحكة بالنسبة لي» قال متذمرا «أنا لا أريد أن أكون مثارا للسخرية-» .

«أنت من جعلتني مثارا للسخرية!» رد عليه السيد بُتن بشراسة .

«لا يهم كم ستبدو مضحكا ، ارتدي الملابس وإلا ، وإلا أعطيتك بضع صفعات على مؤخرتك» وتجرع بصعوبة المقطع الأخير ، ومع ذلك فقد شعر انه الشيء الصحيح الذي يمكن أن يقوله .

«حسنا ، يا والدي» مع نبرة بشعة تحاكي انصياع الولد لأبيه .

«لقد عشت أطول ، وأنت أدرى مني . هو كما قلت .»

ومن جديد كانت كلمة «والدي» تثير حنق السيد بتن .

«وعلى عجل»

«أنا أسرع ، يا والدي» .

عندما كان ابنه يرتدي ملابسه ، كان السيد بُتن يتفحصه باكتئاب .

Twitter: @alqareah

كان الزي عبارة عن جوارب منقطة ، وسروال وردي ، وبلوزة بياقة كبيرة بيضاء ، والتي تتدلى عليها اللحية الطويلة البيضاء لتصل تقريبا إلى خصره .

لم يكن الانطباع جيدا .

«انتظر!»

استولى السيد بُتن على مقص كبير وبثلاث حركات خاطفة تخلص من جزء كبير من اللحية . لكن بالرغم من هذا التحسين فإن الشكل الإجمالي لا يزال بعيدا عن الكمال . لا تزال تسريحة الشعر الخفيف ، والعينان الدامعتان ، والأسنان البالية تبدو غريبة مع الملابس المبتهجة . ورغم أن السيد بُتن كان قاسيا إلا أنه مد يده وقال بصرامة .

«هيا تعال» .

فأمسك الابن يده بثقة وهما خارجان من الحاضنة وسأله بصوت متهدج :

«ما الاسم الذي ستطلقه علي يا أبي؟»

«هل ستدعوني بـ 'طفل' فقط في الوقت الحالي؟ في انتظار أن تفكر في اسم أفضل؟»

نخر السيد بُتن وأجاب بقسوة «لا أعرف ، أعتقد أننا سندعوك متوشالخ»[١] .

---

(١) متوشالخ ابن إدريس ووالد لامَك وجدّ نوح ، توفي عن عمر يناهز ال ٩٦٩ . و يعتبر الرجل الأكبر سنا المذكور في العهد القديم .

Twitter: @alqareah

-٣-

حتى بعد أن قص الفرد الجديد في عائلة بُتن شعره وصبغه بلون أسود غير طبيعي ، وقد حلق ذقنه حتى صار كأنه يتلألأ ، وأُلبس ثيابا للأطفال صنعها له تحت الطلب خياط مندهش ، وقد كان من المستحيل على السيد بُتن تجاهل حقيقة أن ابنه كان مثالا بائسا لأول طفل يولد للعائلة . وعلى الرغم من انحناء ظهره ، فإن بنجامين بتن- هكذا كانوا يدعونه بدلا من أن اسم «متوشالخ» الذي كان يناسبه أكثر لكنه بشع- كان بطول خمسة أقدام وثمانية بوصات . ولذا فإن هذه الملابس لم تخفي هذا ، ولا تعديل حاجبيه وصبغهما استطاع أن يخفي حقيقة عينيه المتعبتين ، الباهتتين والدامعتين .

في الواقع ، المربية التي تم تعيينها مسبقا غادرت المنزل في حالة من السخط الشديد ، بعد أن ألقت عليه نظرة واحدة . لكن لم يغير السيد بُتن رأيه ، فبالنسبة له بانجمين طفل ، ويجب أن يبقى كذلك . في البداية أعلن أنه إذا كان بانجمين لا يحب الحليب الساخن فلن يكون هناك ما يؤكله ، لكنه وافق في الأخير على السماح لابنه بأكل الخبز والزبدة ، بل وحتى الشوفان كحل وسط .

Twitter: @alqareah

وفي أحــد الأيام ، جلب مــعــه خــشــخــيــشــة وأعطاها لبنجـامين ، وأصـر بشـدة على أن يلعب بهـا ، عندئذ أخـذها الرجل العجوز بانزعاج وكان يجلجلها بإذعان خلال فترات من اليوم .

ومع ذلك ، فمن المؤكد أن الخشخيشة كانت تضجره ، وانه قد وجد أشياء أخرى تلهيه وتهدئه عندما كان يترك وحيدا . فعلى سبيل المثال ، اكتشف السيد بُتن في أحد الأيام أنه دخن خلال الأسبوع السابق سجائر أكثر من المعتاد ، وهي الظاهرة التي اتضح له سببها بعد بضعة أيام عندما دخل حجرة بانجمين على نحو مفاجئ ، فوجد ضباباً أزرقاً خافتاً يعم الغرفة بأكملها ، في حين كان بنجامين يحاول إخفاء عقب السيجار الكوبي وقد اعتلى وجهه إحساس بالذنب . وهذا ، بطبيعة الحال ، يستلزم ضربا مبرحا ، لكن السيد بُتن وجد نفسه غير قادر على التحكم فيه .

واكتفى بتحذيره من أن هذا قد «يعيق نموه» .

ومع ذلك أصر الأب على موقفه ، فأحضر إلى المنزل دمى جنود من الرصاص ، ولعبة القطارات ، وأحضر له دمى حيوانات كبيرة وجميلة مصنوعة من القطن ، وللحفاظ على هذا الوهم الذي خلقه- على الأقل من أجله هو - طالب بإصرار من البائع في متجر اللعب «إذا ما كان طلاء البطة الوردي يزول إذا ما وضعها الطفل في فمه» . ولكن ، بالرغم من

Twitter: @alqareah

كل جهود والده ، أبى بنجامين أن يبدي اهتماما بها . فكان ينزل خلسة من الدرج الخلفي ويعود إلى غرفته مع مجلد من الموسوعة البريطانية ، والذي كان يقضي به فترة ما بعد الظهر ، دون إبداء اهتمام بأبقاره القطنية أو بمجسم سفينة نوح الملقاة على الأرض . وفي مقابل هذا العناد ، ذهبت جهود السيد بُتن سدى .

وكان الانطباع الذي تولد في بالتيمور مدهشا في البداية .

ولحسن حظ عائلة بُتن أن الحرب الأهلية التي اندلعت قد حولت اهتمام المدينة إلى أمور أخرى وأنقذتهم من كارثة كانت ستحل بهم . والحقيقة أن القلة من ذوي اللباقة قد أجهدوا عقولهم بحثا عن عبارات تهنئة مناسبة للوالدين وفي الأخير توصلوا إلى العبارة الذكية بأن الولد يشبه جده ، وهي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها بسبب حالة الوهن المعتادة والشائعة بين كل الرجال السبعينيين . ولم يسر هذا السيد والسيدة روجر بتن ، وقد أهين جد بنجامين بشدة .

بمجرد ما خرج بنجامين من المستشفى ، اتخذ الحياة على النحو الذي وجدها عليه . تم جلب العديد من الصبية الصغار للقائه ، وقد أمضى عشية مؤلمة لمفاصله وهو يحاول إيجاد أي اهتمام في اللعب بالبلبل والكرات الرخامية ، حتى أنه نجح دون قصد في كسر نافذة المطبخ برمية حجر من المقلاع ، الأمر الذي أفرح والده سرا .

Twitter: @alqareah

بعد ذلك أصبح بانجمين يخطط لكسر شيء كل يوم ، لكنه كان يفعل هذه الأشياء فقط لأنها كانت متوقعة منه ، ولأنه كان يحب المساعدة .

عندما زال نفور جده الأولي ، وجد بنجامين وهذا العجوز متعة كبيرة في رفقتهما معا . كانا يجلسان لساعات ، هذان المتباعدان في العمر والخبرة ، وكرفيقين قديمين كانا يتحدثان دون كلل عن الأحداث اليومية البسيطة . وكان بنجامين يشعر بارتياح أكبر في حضرة جده أكثر من والديه - فقد كانا يبدوان دائما إلى حد ما في رهبة منه ، وعلى الرغم من السلطة الحازمة التي تُمارس عليه ، فغالبا ما كانا يخاطبانه بـ«السيد» .

ولقد كان هو الآخر في حيرة مثل الجميع من نضج عقله وكبر جسمه في العمر الظاهر للعيان منذ الولادة . فقرأ حول الموضوع في المجلة الطبية ، لكنه وجد أنه لم يسبق وأن سُجلت حالة كهذه من قبل . واستسلاما لإلحاح والده قرر أن يقوم بمحاولة صادقة للعب مع بقية الأطفال الذين كان ينضم إليهم غالبا شريطة أن لا تكون الألعاب عنيفة ككرة القدم مثلا ، فقد كان يخشى على عظامه القديمة إذا ما انكسرت أن لا تُجبر مرة أخرى .

عندما بلغ الخامسة تم إرساله إلى روضة الأطفال ، حيث بدأ في تعلم إلصاق الورقة الخضراء على الورقة البرتقالية ، وتلوين الخرائط وصنع قلائد الورق المقوى . وكان يميل إلى النوم

Twitter: @alqareah

أثناء إنجاز هذه المهام ، وهي العادة التي أغضبت معلمته الشابة وأخافتها على حد سواء . ولأجل راحته اشتكت إلى والديه ، اللذان قرارا إيقافه عن الدراسة . وأخبر أفراد عائلة روجر بُتن أصدقائهم أنهم قد أحسوا أن ابنهم لا يزال صغيرا جدا على الذهاب إلى المدرسة .

عندما بلغ من العمر اثنتا عشرة سنة كانا والداه قد تعودا عليه . في الواقع ، للاعتياد قوة كبيرة حتى أنهما لم يعودا يشعران بأنه مختلف عن أي طفل آخر ، باستثناء بعض الفضوليين الذين يذكرونهم بذلك . لكن في أحد الأيام ، بعد أسابيع قليلة من عيد ميلاده الثاني عشر ، وعندما كان ينظر في المرآة ، اكتشف بنجامين ، أو ظن أنه اكتشف ، أمرا مذهلا . هل خدعته عيناه أم أن شعره قد تحول خلال اثنتي عشرة عاما من الأبيض إلى الرمادي الحديدي كما يمكن رؤيته من الجذور؟ ألم تصبح التجاعيد الغائرة في وجهه أقل وضوحا؟ وبشرته أكثر صحة ونضارة ، مع بعض الحمرة؟ يستحيل قول ذلك . هو يعلم أن ظهره قد استقام ، وأن صحته في تحسن منذ الأيام الأولى من حياته .

«هل هذا ممكن-؟» فكر في نفسه ، أو بالأحرى تجرأ على التفكير فيه .

ذهب إلى والده «أنا أكبر» أعلن بإصرار .

«أريد أن أرتدي سراويل طويلة .»

Twitter: @alqareah

تردد والده وقال أخيرا : «حسنا! أنا لا أدري . الرابعة عشر هي السن التي ترتدي فيها سراويل طويلة وأنت لا تزال فقط في الثانية عشر» .

احتج بنجامين قائلا «لكن عليك الاعتراف بأنني أكبر من سني» .

نظر إليه والده متكهنا وأجاب : «أوه ، لست متأكدا من هذا ، عندما كنت في الثانية عشر كنت كبيرا مثلك» .

لم يكن هذا صحيحا ، بل كان جزءا من اتفاق صامت بين روجر بُتن ونفسه ليؤمن بأن ابنه طبيعي .

وأخيرا تم التوصل إلى حل وسط . فكان على بنجامين مواصلة صبغ شعره ، وأن يقوم بمحاولة أفضل للعب مع أقرانه ، وأن لا يرتدي نظاراته أو يمشي بالعصا في الشارع . في مقابل هذه التنازلات قدم له أول سروال طويل .

Twitter: @alqareah

-٤-

فيما يخص حياة بنجامين بُتن بين سن الثانية عشر والحادية والعشرين فلا أعتزم قول الكثير . ويكفي أن أشير إلى أنها كانت سنوات من تراجع النمو الطبيعي . عندما كان بنجامين في الثمانية عشر كان يبدو كرجل في الخمسين ؛ صار شعره يميل أكثر إلى اللون الرمادي الداكن ؛ وصارت خطواته ثابتة ، وأصبح صوته رجوليا وقد زاد صفاءه وفقد تصدعه . وبالتالي أرسله والده إلى كونيتيكت لاجتياز امتحانات دخول كلية ييل . ونجح بنجامين في امتحاناته ودخل السنة الأولى في الكلية .

في اليوم الثالث بعد قبوله تلقى إشعارا من السيد هارت ، رئيس مصلحة التسجيلات في الكلية ، باستدعائه إلى مكتبه لترتيب برنامجه الدراسي . وعندما ألقى بنجامين نظرة على المرآة ، ارتأى أن شعره في حاجة إلى صبغه من جديد باللون البني ، ولكنه بعد عملية بحث دقيق في درج مكتبه لم يجد قارورة الصباغ ، وتذكر أنه قد أفرغها قبل يوم ورماها . لقد كان في ورطة ، وكان عليه أن يتوجه إلى مكتب رئيس مصلحة التسجيلات خلال خمسة دقائق . لم يكن أمامه أي حل ، إلا

Twitter: @alqareah

الذهاب على هذه الحال ، وكذلك فعل .

«صباح الخير» قال رئيس المصلحة بأدب «جئت للاستفسار عن ابنك» .

«حسنا ، في الواقع ، اسمي بُتن» بدأ بنجامين ، لكن السيد هارت قاطعه .

«سررت جدا بلقائك سيد بتن . أنا في انتظار ابنك أن يأتي في أي لحظة» .

«إنه أنا!» انفجر بنجامين «أنا هو الطالب الجديد» .

«ماذا!»

«أنا هو الطالب الجديد» .

«بالتأكيد أنت تمزح» .

«إطلاقا .»

عبس رئيس المصلحة وحدق في البطاقة التي أمامه .

«مسجل هنا أمامي أن عمر السيد بنجامين بُتن هو ثمانية عشرة سنة» .

«هذا عمري» أكد بنجامين ، وقد احمر وجهه قليلا .

رمقه رئيس المصلحة بضجر وقال : «لا تتوقع مني الآن ، يا سيد بتن ، أن أصدق هذا» .

ابتسم بنجامين بضجر وكرر قائلا «أنا في الثامنة عشر» .

فأشار رئيس المصلحة بشدة إلى الباب وصاح «اخرج» .

«اخرج من الكلية ومن المدينة . أنت مجنون خطير» .

Twitter: @alqareah

«أنا في الثامنة عشرة .»

فتح السيد هارت الباب وهو يصرخ . «رجل في مثل سنك يحاول الدخول هنا كطالب في السنة الأولى . وتقول أن عمرك ثمانية عشر سنة؟ حسنا ، سأعطيك ثمانية عشر دقيقة لتغادر المدينة» .

غادر بنجامين بُتن الغرفة بكرامة ، وقد تبعته بفضول عيون مجموعة الطلاب الجامعيين الذين كانوا ينتظرون في الردهة . وعندما ابتعد قليلا استدار ، ونظر إلى رئيس المصلحة الغاضب ، والذي كان لا يزال واقفا أمام الباب ، وأعاد بصوت حازم : «أنا في الثامنة عشر» .

ومشى بنجامين مبتعدا عن موجة الضحك التي أثارها كلامه لدى مجموعة الطلاب .

لكن لم يكن مقدرا له أن يفلت بهذه السهولة . فبينما كان يمشي مكتئبا إلى محطة القطار اكتشف أن حفنة من الشباب تتبعه ، والتي أصبحت جماعة ، وأخيرا حشدا من الطلاب . وقد سرت إشاعة عن أن مجنونا اجتاز امتحانات القبول لجامعة ييل ، وادعى انه شاب في الثامنة عشر . واجتاحت الكلية حمى من الإثارة ، وقد خرج الطلاب من قاعات الدرس راكضين دون قبعات ، وتخلى فريق كرة القدم عن تدريباته لينضم إلى هذه الغوغاء ، وزوجات الأساتذة بقبعاتهن المنحرفة وحمالات فساتينهن غير المرتبة ، التحقن يصرخن بالموكب ، وقد شرعن في إطلاق فيض من التعليقات كان الغرض منها

Twitter: @alqareah

جرح مشاعر بنجامين بتن .

«لابد من أنه اليهودي التائه[١]!»

«يجب أن يكون في المدرسة الإعدادية في عمره هذا!»

«انظروا إلى الطفل المعجزة!»

« إنه يعتقد أنها دار العجزة» .

«اذهب إلى هارفارد!»

. .

سارع بنجامين في مشيته ، وسرعان ما صار يجري . سيريهم! سيذهب إلى جامعة هارفارد ، وحينها سيندمون على هذه السخرية غير المحسوبة!

وفي مأمن منهم ، على متن القطار المتجه إلى بالتيمور ، أخرج رأسه من النافذة وصرخ «سوف ستندمون على هذا!» .

«ها ها!» ضحك الطلاب الجامعيين . «ها ها ها!» وكان هذا أكبر خطأ ارتكبته جامعة ييل على الإطلاق .

---

(١) اليهودي التائه شخصية خيالية عن رجل يهودي حكم عليه بالتجوال للأبد على الأرض عقابا له على ضرب المسيح ففي أشهر قصة عنه كان إسكافيا يدعى كارتافيلوس رأى المسيح يرتاح وهو يحمل صليبه إلى المكان الذي صلب فيه في جبل الجلجلة ، فضربه وأخبره بقسوة بأن يسرع بالذهاب إلى موته فرد عليه بأنه سيقف ويرتاح أما اليهودي سيبقى حتى يرجع المسيح ، فظل يهيم في الأرض منذ ذلك الحين وهو تائب ويتوق للموت .

Twitter: @alqareah

-٥-

في عام ١٨٨٠ كان بنجامين بُتن في العشرين من عمره، وقد احتفى بعيد ميلاده بالذهاب إلى العمل مع والده في شركة روجر بُتن وشركاؤه، لبيع الخردوات بالجملة. وهو العام نفسه الذي بدأ فيه «الاختلاط بالمجتمع»، فقد أصر والده على أخذه إلى عدة حفلات راقصة. وقد بلغ روجر بُتن الآن الخمسين، وصارا يتوافقان أكثر فأكثر. في الواقع، منذ توقف بنجامين عن صبغ شعره (والذي كان لا يزال رمادي) أصبحا يبدوان في نفس العمر، حتى يخيل أنهما أخوان.

في إحدى ليال أغسطس، ركبا عربتهما، مرتديان أجمل بدلاتهما وقادا نحو منزل آل شيفلين الريفي، والذي يقع خارج بالتيمور، حيث كانت تقام حفلة راقصة. كان المساء رائعا، وكان الطريق غارقا في ضوء القمر المكتمل ذو اللون الرمادي المزرق، وعبق أزهار آخر الصيف يملئ الهواء الساكن كضحكات مكتومة. وحقول القمح المتلألئ الممتدة على أميال، تشع كما لو أنها في النهار. وكان من المستحيل تقريبا أن لا يتأثر المرء بالجمال المطلق للسماء- تقريبا.

قال روجر بتن: «هناك مستقبل كبير في مجال النسيج».

Twitter: @alqareah

لم يكن رجلا روحيا ، وقد كان حسه الجمالي بدائي .

«لا يستطيع الرجال في سني أن يتعلموا الحيل الجديدة» قال وقد أدرك الأمر بعمق .

وأضاف «إنه أنتم أيها الشباب بطاقتكم وحيويتكم من سيكون أمامه المستقبل الواعد» .

وبدت أنوار منزل آل شيفلين الريفي من جانب الطريق ، وكانا يسمعان الآن صوت تنهد يتقدم ببطء في اتجاههما ، ربما كان النحيب المرهف للكمنجات أو حفيف القمح الفضي تحت ضوء القمر .

توقفا خلف سيارة «برغام» أنيقة ركنت أمام الباب لتنزل ركابها . خرجت منها سيدة ، متبوعة بسيد مسن ، ثم سيدة أخرى شابة ، جميلة كالبدر . أجفل بنجامين ، وبدا أن عناصر جسده قد انحلت وأعادت تركيب ذاتها مرة أخرى كما في التفاعلات الكيمائية . لقد تلقى صدمة ، وارتفع الدم إلى وجنتيه ، وجبهته ، وكان هناك طنين ثابت في أذنيه . لقد كان هذا حبه الأول .

كانت الفتاة نحيلة وواهنة ، وكان شعرها يكتسي لونا رماديا تحت ضوء القمر وعسليا تحت الفوانيس التي تفرقع في الشرفة . وقد ألقت على كتفيها طرحة إسبانية بلون أصفر باهت مطرزة بالأسود . كانت قدماها كزرين يلمعان تحت هدب فستانها .

Twitter: @alqareah

انحنى روجر بُتن على ابنه وقال له «هذه الشابة هي هيلدغارد مونكريف ، ابنة الجنرال مونكريف» .

أومأ بنجامين ببرود ، وقال بلا مبالاة : «تبدو جميلة» .

ولكن عندما قاد الصبي الزنجي عربتهم ، أضاف بنجامين : «أبي ، بإمكانك أن تعرفني عليها .»

اقترابا من مجموعة كانت تتوسطها الآنسة مونكريف . ونظرا لتربيتها على التقاليد ، فقد انحنت احتراما لبنجامين . نعم ، بإمكانه أن يحظى برقصة معها . فشكرها وابتعد يتهادى في مشيته .

بدت الفترة الزمنية التي كان ينتظر فيها دوره لانهائية . كان واقفا بالقرب من الحائط ، ملتزما الصمت في غموض ، يرمق بعينين حانقتين شباب بالتيمور يتهافتون حول هيدغارد مونكريف ، وقد اعتلت وجوههم عاطفة الإعجاب . كم بدوا بغيضين لبنجامين . يا لها من مهزلة لا تطاق! وكانت شعورهم البنية المجعدة تولد بداخله إحساسا أشبه بالغثيان . لكن عندما حان وقته ، وانجرف معها إلى حلبة الرقص على أنغام موسيقى الفالس الأخير القادمة من باريس ، تلاشت غيرته وقلقه كثلج ذاب تحت الشمس . وقد أعماه سحرها ، أحس أن الحياة قد بدأت لتوها .

«لقد وصلت أنت وأخوك إلى هنا معنا ، أليس كذلك؟»

سألت هيلدغارد ، وهي تنظر إليه بعينيها اللامعتين بلون أزرق كلون الخزف .

Twitter: @alqareah

تردد بنجامين . إذا حسبته شقيق والده ، أليس من الأفضل أن يوضح الأمر لها؟ لكنه تذكر تجربته في جامعة ييل ، فقرر أن لا يفعل . ليس من اللائق معارضة السيدات ؛ سيكون الأمر بمثابة جريمة لو أنه ضيع هذه الفرصة الرائعة بذكر قصة ولادته الخيالية . في وقت لاحق ، ربما . لذا فقد أومأ برأسه ، وابتسم ، واستمع ، و كان سعيدا .

«أحب الرجال في مثل سنك» قالت هيلدغارد «فالشباب حمقى جدا ، إنهم يخبرونني عن كم من الشمبانيا يشربون في الكلية ، وكم من الأموال يخسرون في لعب الورق . أما الرجال في سنك فيعرفون كيف يقدرون المرأة» .

شعر بنجامين أنه على وشك أن يطلب يدها للزواج ، لولا أنه كبح بجهد هذه الرغبة .

«أنت في السن المثالي» وواصلت «الخمسين . في الخامسة والعشرين يكون الرجل ذو خبرة ؛ في الثلاثين هو عرضة لأن يصبح شاحبا من الإرهاق ، في الأربعين هو في عمر القصص الطويلة التي تتطلب تدخين السيجار بأكمله لقصها ؛ أما الستين ، أوه ، الستين هي قريبة جدا من السبعين . ولكن الخمسين هي عمر النضج . أنا أفضل الخمسين» . بدت الخمسون سنا مجيدة لبنجامين ، وصار يتوق بحماس لأن يبلغ الخمسين .

واصلت هيلدغارد كلامها «لقد قلت دائما أنني أفضل

Twitter: @alqareah

الزواج من رجل في الخمسين يعتني بي أكثر بكثير من الزواج برجل في الثلاثين واعتني أنا به» .

بالنسبة لبنجامين فقد قضى باقي السهرة غارقا في العسل . وقد سمحت له هيلدغارد بمراقصتها مرتين أيضا ، واكتشفا أنهما يتشاركان وجهات النظر حول القضايا الراهنة بشكل مذهل ، ومنحته موعدا للذهاب في جولة الأحد المقبل ، وبالتالي سيتناقشان في كل هذه المسائل بعمق .

في طريق العودة إلى المنزل بعربتهما قبيل بزوغ الفجر ، في الوقت الذي بدأت أولى النحلات طنينها وبدء ضوء القمر يتلاشى عن الندى الرطب ، كان بنجامين يعلم أن والده كان يناقش تجارتهم في الخردوات بالجملة .

« . . . . وماذا تعتقد أنه يستحق اهتماما أكبر لدينا بعد المطارق والمسامير؟» قال الأب .

«العشق» ، أجاب بنجامين شارد الذهن .

«العُرى؟» هتف روجر بوتن «نعم ، لقد فكرت في مسألة بيع العُرى» .

نظر إليه بنجامين بذهول ، وقد بدأ ضوء الشمس يبزغ من الشرق ، وتبادر إلى مسامعهما زقزقة طائر الصفراوي من على الأشجار النشطة .

Twitter: @alqareah

-٦-

بعد ستة أشهر ، عندما عُلم بخطبة الآنسة هيلدغارد مونكريف بالسيد بنجامين بُتن (وأقول «عُلم» ، ذلك أن الجنرال مونكريف قال انه يفضل أن يطعن نفسه بسيفه على أن يعلن ذلك) اجتاح الهيجان سكان بالتيمور . وقصة ميلاد بنجامين التي بالكاد نُسيت قد عادت إلى السطح ، وقد أضيفت لها أبعادا أخرى من الفضائح بشكل خيالي لا يصدق . فقد قيل أن بنجامين كان هو حقا والد روجر بتن ، أو أنه كان شقيقه الذي كان في السجن لمدة أربعين عاما ، أو أنه كان جون ويلكس بوث متنكرا ، وأخيرا ، أن لديه قرنان مخروطيان صغيران في رأسه .

وساهمت ملحقات يوم الأحد للصحف النيويوركية في نشر الإشاعات على نطاق واسع مع رسومات مثيرة تظهر رأس بنجامين مع جسم سمكة ، أو جسم ثعبان ، وأخيرا ، مع جسم من النحاس الصلب . لقد أصبح معروفا ، في أوساط الصحافيين ، برجل ماريلاند الغامض . لكن القصة الحقيقية ، كما هو الحال عادة ، كانت معروفة على نطاق ضيق .

ومع ذلك ، فقد وافق الجميع الجنرال مونكريف على أنه

Twitter: @alqareah

من «الإجرام» لفتاة جميلة ، كان يمكن لها أن تزوج أي شاب وسيم من بالتيمور ، أن ترمي نفسها في أحضان رجل كان بالتأكيد في الخمسين . وعبثا قام السيد روجر بُتن بنشر شهادة ميلاد ابنه بالبنط العريض في «بالتيمور بلايز» . لكن لا أحد صدقها ، فقد كان يكفي أن يُنظر إلى بنجامين للتأكد .

أما من جهة الشخصين المعنيين أكثر بهذا ، فلم يكن هناك أي تردد . وقد كان هناك العديد من القصص الكاذبة حول خطيبها ، لدرجة أن هيلدغارد رفضت حتى تصديق الحقيقية منها . وعبثا حاول الجنرال مونكريف تحذيرها من ارتفاع نسبة الوفيات بين الرجال في الخمسين أو على الأقل بين الرجال الذين يبدون في الخمسين . وعبثا أخبرها بعدم استقرار تجارة الخردوات بالجملة ، لكن هيلدغارد اختارت أن تتزوج برجل ناضج ، وكذلك فعلت . . . .

Twitter: @alqareah

-٧-

عل كل حال ، فإن أصدقاء هيلدغارد مونكريف كانوا مخطئين . فقد ازدهرت تجارة الخردوات بالجملة بشكل مثير للدهشة ، ففي الخمسة عشر عاما بين زواج بنجامين بُتن عام ١٨٨٠ وتقاعد والده عام ١٨٩٥ ، تضاعفت ثروة الأسرة ، وهذا راجع إلى حد كبير إلى أصغر عضو في الشركة .

وغني عن القول أن صفوة مجتمع بالتيمور قد رحبت أخيرا بالزوجين بينها . حتى أن الجنرال مونكريف العجوز تصالح مع صهره عندما منحه بنجامين المال لإصدار كتابه «تاريخ الحرب الأهلية» في عشرين مجلدا ، والذي رُفض من طرف تسع ناشرين بارزين .

وخلال هذه الخمسة عشر سنة طرأت الكثير من التغيرات على بنجامين نفسه . وقد بدا له أن الدم يتدفق بقوة جديدة في عروقه . لقد أصبح من الممتع أن يستيقظ باكرا ، وأن يمشي تحت الشمس بخطوات نشطة على طول الشارع المزدحم ، وأن يعمل بلا كلل على شحنات المطارق وحمولات المسامير . وفي عام ١٨٩٠ عقد صفقته الشهيرة : حيث قدم اقتراح بأن جميع المسامير المستخدمة في تسمير الصناديق التي يتم شحن

Twitter: @alqareah

المسامير فيها هي ملك للمرسل إليه ، الاقتراح الذي أصبح قانونا ، وقد تم إقراره من طرف رئيس المستشارين ، ما سمح لشركة روجر بتن ، لبيع الخردوات بالجملة ، بتوفير أكثر من ستمائة مسمار سنويا .

بالإضافة إلى ذلك ، اكتشف بنجامين أنه أصبح أكثر فأكثر انجذابا إلى الجانب المشرق من الحياة . فكان من الطبيعي نظرا لحماسه المتزايد إزاء ملاذ الحياة أن يكون الرجل الأول في مدينة بالتيمور الذي يمتلك سيارة . وكان أقرانه ، إذ يلتقون به في الشارع ، يحدقون إليه بحسد لما يتمتع به من صحة وحيوية .

«يبدو أنه يزداد شبابا عاما بعد عاما» كانت هذه ملاحظتهم . وإن كان روجر بُتن العجوز ، وقد بلغ الآن الخامسة والستين ، قد فشل في البداية في منح ابنه الترحيب المناسب بقدومه لهذا العالم ، فقد كفّر عن ذلك في الأخير بالتقرب إليه بتملق . وهنا نأتي إلى موضوع غير سار والذي سيكون من الأحسن المرور عليه مرور الكرام . كان هناك أمر واحد يقلق بنجامين بتن ، وهو أن زوجته لم تعد تثير إعجابه .

في ذلك الوقت كانت هيلدغارد امرأة في الخامسة وثلاثين ، مع الابن ، روسكو ، ذو الأربعة عشر عاما . في الأيام الأولى من زواجهما كان بنجامين يعبدها . ولكن ، مع مرور السنوات ، أصبح شعرها بلون بني باهت ، وصار لون عينيها

Twitter: @alqareah

الأزرق الخزفي كلون الآنية الرخيصة ، علاوة على ذلك ، والأهم من كل ذلك ، أنها أصبحت جادة أكثر ، وهادئة أكثر ، وقنوعة أكثر ، تفتقد بشدة للحماس ، ومتحفظة أكثر في ذوقها . في بداية زواجهما كانت هي من تجر بنجامين إلى حفلات العشاء الراقصة ، أما الآن فقد انعكست الأدوار . صارت ترافقه لكن دون حماس ، فقد التهمها ذلك الجمود الأبدي الذي يصيب كل واحد فينا يوما ويستمر معه إلى النهاية .

كان استياء بنجامين يزداد مع الوقت ، وحين اندلعت الحرب الأمريكية الإسبانية عام ١٨٩٨ لم يكن يجد المتعة في بيته لذا قرر الالتحاق بالجيش . وبفضل تأثير أعماله التجارية تحصل على رتبة نقيب ، وأثبت قدرة وكفاءة في عمله فتمت ترقيته إلى رائد ، وأخيرا إلى ضابط برتبة عقيد في الوقت المناسب للمشاركة في احتفالية سان خوان هيل . كانت جروحه طفيفة حينها ، وقُلّد وساما .

صار بنجامين متعلقا أكثر بالنشاطات المثيرة لحياة الجيش حتى أنه ندم للتخلي عنها ، لكن عمله كان في حاجته ، فاستقال من مهمته وعاد إلى البيت . وكان في استقباله في المحطة جوق موسيقي رافقه في موكب إلى منزله .

Twitter: @alqareah

-٨-

كان في استقباله على عتبة المنزل هيلدغارد وهي تلوح بعلم حريري كبير ، وحين قبّلها شعر بحرقة في قلبه فقد باعدت بينهما هذه السنوات الثلاث . لقد صارت الآن امرأة في الأربعين ، وبدأ الشيب يزحف على شعرها . لقد راعه هذا المنظر .

وبمجرد دخوله غرفته تراءى له انعكاس صورته على المرآة المألوفة ، فاقترب منها أكثر وتفحص وجهه بقلق ، وقارنه بعد لحظة مع صورة له في الزي العسكري قبل أن يذهب إلى الحرب .

«يا إلهي!» قال بصوت عال . لقد كانت العملية مستمرة . لا شك في ذلك ، لقد أصبح يبدو الآن وكأنه رجل في الثلاثين وبدلا من أن يكون مسرورا ، شعر بنوع من عدم الارتياح ، فقد كان يَصغُر . وكان يأمل حتى الآن أنه بمجرد أن يصل إلى الحالة الجسدية التي تناسب عمره الحقيقي ، ستتوقف هذه الظاهرة الغريبة التي تعرض لها مُنذ ولادته . وارتجف جسده ، إذ بدا له مصيره فظيعا ، ولا يصدق .

عندما نزل إلى الطابق السفلي كانت هيلدغارد في

Twitter: @alqareah

انتظاره . وبدت منزعجة ، وتساءل إذا ما كانت قد اكتشفت في نهاية المطاف أن هناك شيئا غير اعتيادي . وحتى يخفف التوتر بينهما حاول أن يطرح هذه المسألة أثناء العشاء بطريقة لطيفة نوعا ما .

«حسنا» قال بمرح «الجميع يقول أنني أبدو أصغر سنا من أي وقت مضى» .

نظرت إليه هيلدغارد بازدراء ، وقالت له باحتقار : «هل تعتقد أن هذا الأمر يدعو للتباهي؟»

«أنا لا أتباهى» أجاب بعدم ارتياح .

فردت باحتقار مرة أخرى «يا لها من فكرة» ثم أضافت بعد لحظة :

«كنت أعتقد أنه سيكون لك ما يكفي من الكبرياء لإيقاف هذا»

«كيف يمكنني هذا؟» سألها .

«أنا لن أتجادل معك» ردت بحسم «لكن هناك طريقة صحيحة للقيام بهذه الأمور وطريقة خاطئة . إذا كنت قد أقنعت نفسك بأن تكون مختلفا عن الجميع ، فلا أظن أن بإمكاني إيقافك ، لكن حقيقةً لا أعتقد أن في هذا الأمر مراعاة للآخرين» .

«لكن ، هيلدغارد ، أنا لا أستطيع فعل شيء .»

«يمكنك ذلك ، أنت فقط عنيد وتعتقد أنك لا تريد أن

Twitter: @alqareah

تكون مثل أي شخص آخر . لطالما كنت هكذا ، وستكون دائما . لكن فقط فكر لو أن كل شخص فعل مثلما فعلت ، فكيف سيكون العالم حينها؟»

وبما أنها كانت حجة تافهة ومفحمة فإن بنجامين لم يجب ، ومنذ ذلك الوقت أخذت الهوة التي بينهما في الاتساع أكثر . وتساءل كيف أمكن لها يوما أن تفتنه .

وزاد اتساع الهوة بينهما عندما اكتشف ، مع مطلع القرن الجديد ، أن تعطشه لمباهج الحياة قد زاد . لم تُقم حفلة من أي نوع في مدينة بالتيمور إلا وكان هناك يرقص مع الحسناوات المتزوجات ، ويتبادل أطراف الحديث مع الفتيات الأكثر شعبية ، ويستمتع برفقتهن ، في حين أن زوجته ، كانت كأرملة مشؤومة ، تتخذ لنفسها مقعدا بين النسوة اللواتي يرافقن بناتهن إلى الحفلات ، ترمقه باستهجان متعجرف ، والآن تتبعه بعينين كئيبتين ، محتارتين وعاتبتين .

«انظر!» يقول الناس «ما يؤسف له! هو أن فتى شاب في هذا العمر مرتبط بامرأة في الخامسة والأربعين . لابد من انه أصغر من زوجته بعشرين عاما» . لقد نسيا ، والجميع ينسون ، أنه في سنة ١٨٨٠ لاحظ أبائهم وأمهاتهم أيضا نفس الشيء في هذين الزوجين غير المتلائمين .

وتعويضا للتعاسة المتزايدة في البيت ، وجد بنجامين لنفسه اهتمامات جديدة . فلعب الغولف وحقق نجاحا باهرا فيه . ثم

Twitter: @alqareah

اتجه إلى الرقص : فصار محترفا في رقص «البوسطن»[1] عام ١٩٠٦ ، وفي ١٩٠٨ تم اعتباره خبيرا في رقص الماكسيكس ، بينما في عام ١٩٠٩ كان كل شباب البلدة يحسدونه على طريقة تأديته لرقصة الكاسل .

بالتأكيد كان لنشاطاته الاجتماعية تأثير إلى حد ما على عمله ، ولكن بعد كل شيء لقد عمل بجد في بيع الخردوات بالجملة ولمدة خمس وعشرين سنة ، وقد شعر أن بإمكانه تسليم شركته قريبا إلى ابنه ، روسكو ، الذي قد تخرج مؤخرا من هارفارد .

في الواقع ، غالبا ما كان يُخلط بينه وبين ابنه . وقد أسرّ هذا الأمر بنجامين ، ونسي سريعا الخوف الماكر الذي انتابه بعد عودته من الحرب الأمريكية- الإسبانية ، وبدأ يستمتع بسذاجة بمظهره . كان هناك شيء واحد فقط ينغص عليه هذه المتعة ، وهو الظهور علنا مع زوجته ، وقد شارفت على الخمسين ، وكان يبدو له منظرهما معا سخيفا .

(١) نوع من الرقصات ظهرت في الولايات المتحدة سنة ١٨٨٠ .

Twitter: @alqareah

-٩-

في أحد أيام سبتمبر من سنة ١٩١٠ ، بعد بضع سنوات من تسليم شركة روجر بُتن وشركاؤه ، لبيع الخردوات بالجملة ، إلى الشاب روسكو بتن ، سجل رجل ، يبدو في العشرين من العمر ، نفسه في السنة الأولى في كلية هارفرد بكامبريدج . ولم يقع مرة أخرى في خطأ الإفصاح عن أن عمره يتجاوز الخمسين ، ولا ذكر حقيقة أن ابنه قد تخرج من نفس المؤسسة قبل عشر سنوات . وتم قبوله ، وعلى الفور حقق مكانة بارزة في الصف ، لاسيما أنه يبدو أكبر بقليل من باقي الطلبة الجدد ، والذين كان متوسط أعمارهم حوالي ثمانية عشر سنة .

لكن نجاحه كان راجعا بالأساس إلى حقيقة أنه لعب ببراعة في مباراة كرة القدم التي جمعت فريقه مع فريق جامعة ييل . لقد لعب ذلك اليوم بكثير من الاندفاع وبدم بارد حتى أنه سجل سبعة نقاط وأربعة عشر هدف لصالح جامعة هارفارد ، وتسبب في خروج احد عشر لاعبا من ييل ، واحدا بعد الآخر ، من الملعب فاقدين الوعي . لقد كان الرجل الأكثر شهرة في الكلية . من الغريب القول أنه في سنته الثالثة كان نادرا ما يتم اختياره ضمن الفريق ، وقد قال المدربون أنه فقد

Twitter: @alqareah

وزنه ، وبدا لدقيقي الملاحظة بينهم أنه لم يعد طويلا كما كان من قبل . في الواقع لم يعد يسجل نقاطا ، وتم الإبقاء عليه في الفريق فقط على أمل أن سمعته هائلة قد تثير الرعب والفوضى وسط فريق ييل .

في سنته الأخيرة لم ينضم إلى الفريق على الإطلاق . فقد أصبح جد هزيل وضعيف حتى أنه في أحد الأيام عامله بعض طلبة السنة الثانية على أنه طالب جديد ، الحادثة التي أشعرته بإهانة بالغة . وصار يعتبر بمثابة معجزة ما ، فأحد طلبة السنة الأخيرة لا يزيد بالتأكيد عن ستة عشر سنة ، وأصبح في كثير من الأحيان يصدم باهتمامات زملاءه . بدت دراسته أصعب بالنسبة له ، وأحس أنهم متقدمون جدا عليه . وكان قد سمع من بعض زملائه عن «القديس ميداس» ، المدرسة التحضيرية الشهيرة ، أين حضّر الكثير منهم لدخول الكلية ، وقرر أنه بعد تخرجه سيسجل نفسه في «سانت ميداس» ، حيث ستكون الحياة بين الأولاد في مثل حجمه أكثر ملائمة له .

عندما تخرج سنة ١٩١٤ عاد إلى بيته في بالتيمور حاملا مع شهادته من جامعة هارفارد . أصبحت هيلدغارد تقيم الآن في إيطاليا ، لذا ذهب بنجامين للعيش مع ابنه ، روسكو . وعلى الرغم من انه قد رحب به بشكل عام فقد كان من الواضح أن ابنه لا يحمل مشاعر الود تجاهه ، يمكن حتى ملاحظة شعور الابن بأن هذا الأب الذي يتسكع في البيت بطيش مراهق

Twitter: @alqareah

يضايقه . كان روسكو متزوجا الآن وشخصا بارزا في بالتيمور ، ولم يشأ بأي حال أن يتسبب في فضيحة تمس عائلته .

وسرعان ما أصبح بنجامين شخصا غير مرغوب به في أوساط المبتدئين والطلبة ، وصار وحيدا أكثر ، فيما عدا رفقة ثلاثة أو أربعة من أولاد الجيران ذوي الخمسة عشر سنة . وعادت إلى ذهنه فكرة التسجيل في مدرسة سانت ميداس .

- «أتذكر؟ لقد قلت لكم مرارا وتكرارا أنني أرغب في التسجيل بالمدرسة التحضيرية» .

- «حسنا ، اذهب إذا» أجاب روسكو باقتضاب . كان الأمر مقيتا بالنسبة له ، وتمنى لو يتفادى هذا الحديث .

- «لا أستطيع الذهاب لوحدي» قال بنجامين بعجز «سيكون عليك تسجيلي وأخذي إلى هناك» .

- «ليس لدي الوقت» قال روسكو بفظاظة ، وضاقت عيناه وهو يحدق باضطراب في والده وأضاف :

«في الحقيقة ، يستحسن أن لا تفكر في هذا الأمر ثانية . من الأفضل أن تتوقف عن هذا . من الأفضل- من الأفضل» .

ثم توقف وامتقع وجهه بينما هو يبحث عن الكلمات : «يستحسن أن تلتفت وتسلك الطريق الصواب . لقد تجاوزت هذه المزحة حدها ، ولم تعد مضحكة . عليك أن تتعقل!»

Twitter: @alqareah

نظر إليه بنجامين ، وهو على وشك البكاء .

«هناك أمر آخر» تابع روسكو «عندما يكون هناك زوار في المنزل أريدك أن تناديني «بالعم» ، لا تناديني «روسكو ، بل «العم» ، هل تفهم؟ سيبدو سخيفا أن يناديني باسمي الأول صبي في الخامسة عشر . ربما من الأفضل أن تناديني «بعمي» طوال الوقت ، حتى تعتاد على ذلك» ألقى روسكو نظرة قاسية على والده والتفت مبتعدا . .

Twitter: @alqareah

-١٠-

عند انتهاء هذا الحديث ، صعد بنجامين مكتئبا إلى غرفته في الطابق العلوي واتجه نحو المرآة وتمعن في وجهه . لم يحلق ذقنه منذ ثلاثة أشهر ، لكنه لم يجد على وجهه أي شعر عدا بعض الزغب الأبيض الباهت في الأسفل والذي لا حاجة إلى حلقه .

عند عودته من جامعة هارفارد ، اقترح عليه روسكو ارتداء نظارات وإلصاق بضع شعيرات على وجنتيه ، وبدا للحظة أن مهزلة السنوات الأولى من حياته تعيد نفسها . ولكن الشعيرات سببت له الحكة وجعلته يشعر بالخجل . بكى بنجامين حينها ما جعل روسكو يتنازل عن هذه الفكرة بمضض .

فتح بنجامين كتاب قصص أطفال «الفتى الكشاف في بيميني باي» ، وبدأ في القراءة ، لكنه وجد نفسه يفكر بإصرار في الحرب . وكانت أمريكا قد التحقت بقضية الحلفاء خلال الشهر الأخير ، وأراد بنجامين الالتحاق بالجيش ، لكن ، للأسف ، كان العمر الأدنى هو السادسة عشرة ، ولم يكن يبدو انه في هذا العمر ، وحتى عمره الحقيقي والذي كان آنذاك

Twitter: @alqareah

سبعة وخمسين كان سيفرض استبعاده على أية حال .

كان هناك طرق على بابه ، وظهر كبير الخدم حاملا رسالة إلى السيد بنجامين باتون تحمل في زاوية ظرفها شعارا رسميا . مزق بنجامين الظرف وفتحها متلهفا ، وقرأها بابتهاج . فقد تم إبلاغه أن الكثير من ضباط الاحتياط الذين خدموا في الحرب الاسبانية الأمريكية قد تم استدعاؤهم إلى الخدمة مع إدراجهم في رتب أعلى ، وقد تم تقليده رتبة عميد في جيش الولايات المتحدة الأمريكية مع أوامر بامتثاله فورا لدى السلطات العسكرية . قفز بنجامين على قدميه وهو يهتز من الحماس ، فهذا بالضبط ما كان يريده . أخذ قبعته ، وبعد عشرة دقائق كان عند خياط شهير في شارع شارل ، حيث طلب بصوت مضطرب أن يؤخذ قياسه لأجل بدلة عسكرية .

«هل تريد أن تلعب لعبة الجندي ، يا بني؟» سأله البائع عرضا ، فغضب بنجامين ورد قائلا : «لا يهم ما أريد! اسمي بتن ، وأسكن في شارع مون فيرنون ، أترى ، إنها من أجلي» .

«حسنا» أقر البائع بتردد وأضاف : «إن لم تكن لك فأعتقد أنها لوالدك ، أليس كذلك؟» .

وتم أخذ قياس بنجامين ، وبعدها بأسبوع كانت بدلته جاهزة . لكنه وجد صعوبات في الحصول على شارة رتبته المناسبة ذلك أن البائع حاول إقناعه أن شارة جمعية الشابات المسيحيات تبدو أفضل وأحسن للعب .

Twitter: @alqareah

دون أن يقول شيئا لروسكو ، غادر المنزل في إحدى الليالي واستقل القطار إلى معسكر موسبي ، في كارولينا الجنوبية ، حيث كان عليه أن يتولى قيادة لواء المشاة .

في يوم قائظ من أيام نيسان اقترب من مدخل المعسكر ، بعد أن سدد أجرة التاكسي التي أقلته من المحطة ، واتجه إلى خفير الحراسة .

«أرسل لي أحدا ليحمل أمتعتي!» قال بنشاط .

نظر إليه الحارس نظرة توبيخ ، ورد قائلا :

«أين أنت ذاهب بثياب الجنرال هذه ، أيها الصبي؟»

بنجامين ، المحارب القديم في الحرب الأمريكية الاسبانية ، دار حوله ورمقه بنظرة يستطير منها الشرر ، ولكن ، للأسف ، لم يستطع أن يصدر سوى صوت مرتجف حين حاول أن يهدد :

«انتباه!»

ثم توقف لاسترجاع أنفاسه ، فرأى فجأة الحارس يضرب الأرض بعقبه ويستظهر بندقيته . فكتم بنجامين ابتسامة رضا ، ولكن عندما ألقى نظرة من حوله تلاشت ابتسامته . فلم يكن هو الذي فرض الانصياع ، بل كان اقتراب عقيد قوات المدفعية المهيب على حصانه .

«أيها العقيد» ناداه بنجامين بصوت أجش .

وصل العقيد عنده ، وشد عنان حصانه ليوقفه ، ثم نظر إليه بهدوء وقد لمعت عيناه

Twitter: @alqareah

«ابن من أنت؟» سأله بلطف .

«سأريك ابن من أنا!» رد بنجامين بنبرة شرسة وأضاف «ترجل من حصانك!»

فانفجر العقيد بالضحك .

«أنت من يأمر ، ها ، سيدي الجنرال؟»

«انظر!» صرخ بنجامين بيأس «اقرأ هذا» وأخرج أمر تجنيده ليريه للعقيد .

قرأه العقيد ، وقد جحظت عيناه .

«من أين لك هذا؟» سأله وهو يدس الوثيقة في جيبه .

«حصلت عليها من الحكومة ، كما ستتأكد من هذا عما قريب!»

«عليك أن تأتي معي» قال العقيد بنبرة غريبة «سنذهب إلى مقر القيادة ونتحدث أكثر في الأمر . تعال معي» .

استدار العقيد وقاد حصانه باتجاه مقر القيادة . ولم يكن لبنجامين سوى إتباعه محاولا إظهار أكبر قدر ممكن من الأنفة ، وفي الوقت ذاته وعد نفسه بانتقام شديد .

ولكن هذا الانتقام لم يتحقق ، فبعد يومين ، جاء ابنه روسكو من بالتيمور ، على جناح السرعة ، وأعاد الجنرال الباكي بعد أن تم تجريده من بدلته .

Twitter: @alqareah

-١١-

في عـــام ١٩٢٠ ولـد أول طفـل لـروسـكو بـتن . ومع ذلـك ، فخلال الاحـتفالات التي تبعت الحدث ، لم يكن أحد يعتقد أن الصبي الشقي ، ذو العشرة أعوام على ما يبدو ، والذي كان يلعب في جميع أنحاء المنزل بجنود الرصاص وألعاب السيرك المصغرة ، كان هو نفسه جد المولود الجديد .

لم يكره احد هذا الصبي الصغير ذو الوجه العذب والمرح ، الذي تعلوه مسحة من الحزن ، لكن وجوده كان مصدر عذاب بالنسبة لروسكو بتن . وكما يُقال في لغة جيله ، لم يعتبر روسكو المسألة «محزنة» ، فقد بدا له أن والده ، برفضه أن يبدو في الستين من العمر ، لم يتصرف «كرجل صلب» ، كانت هذه عبارة روسكو المفضلة ، وبدل ذلك تصرف بطريقة غريبة ومنحرفة . في الواقع ، فإن التفكير في الأمر لمدة نصف ساعة يقوده إلى حافة الجنون . ويعتقد روسكو أن «ماء الشباب» لابد من أنه يحافظ على شباب المرء ، لكن الإكثار منه بهذا النحو كان . . . . مؤسفا . حينها ارتاح روسكو .

بعد خمس سنوات كبر ابن روسكو بما يكفي ليلعب مع بنجامين الصغير تحت إشراف نفس المربية .

Twitter: @alqareah

تولى روسكو أخذهما معا إلى الروضة في نفس اليوم ، ووجد بنجامين أن اللعب بقصاصات الورق الملون ، وصنع جدائل وسلاسل وتصاميم جميلة وغريبة ، كان أروع لعبة في العالم .

في أحد المرات تصرف بسوء فتم إرساله إلى الزاوية ، فشرع حينها في البكاء ، ولكن في الأغلب كانت هناك ساعات مرحة يقضيها في هذه الحجرة المبهجة ، التي تتغلل إليها أشعة الشمس عبر النافذة والآنسة بايلي تضع يدها الحنونة على شعره الأشعث .

بعد سنة انتقل ابن روسكو إلى الصف الأول ، لكن بنجامين بقي في روضة الأطفال . وكان في غاية السعادة . وفي بعض الأحيان عندما كان الصغار يتحدثون عما سيفعلونه عندما يكبرون ، كان يعبر وجهه ظل من الحزن ، إذ كان يدرك على نحو طفولي بريء أنه ليس بإمكانه أبدا مشاركتهم .

مرت الأيام في رتابة ، وللسنة الثالثة على التوالي ذهب إلى روضة الأطفال ، لكنه كان صغيرا جدا الآن على أن يفهم لأي شيء تستعمل الشرائط الورقية اللامعة ذات الألوان الزاهية . وبكى لأن الأولاد الآخرين كانوا أكبر منه ، وكان خائفا منهم ، فتحدثت معه المعلمة ، لكن على الرغم من أنه حاول أن يفهم إلا أنه لم يفهم شيئا على الإطلاق .

تم إيقافه عن الذهاب إلى الروضة ، وأصبحت مربيته ،

Twitter: @alqareah

نانا ، في ثوبها القطني ، مركز عالمه الصغير . عندما يكون الجو جميلا ، كانا يتمشيان في الحديقة . أشارت نانا إلى وحش رمادي ضخم وقالت «فيل» ، كان على بنجامين أن يعيد الكلمة بعدها ، وعندما كانت تخلع ثيابه ليرتدي ثياب النوم كان عليه أن يردد الكلمة التي تعلمها بصوت مرتفع : «فييل ، فييل ، فييل» . في بعض الأحيان تسمح له نانا بالقفز على السرير ، الأمر الذي كان ممتعا بالنسبة له ، فعندما يسقط على قدميه ويرتد مرة أخرى إلى الأعلى ويستمر في الصراخ «آه» لمدة طويلة يحدث ارتجاج ممتع في الصوت .

كان يحب أن يأخذ عصا كبيرة من مشجب القبعات ويتجول في المنزل يضرب الكراسي والطاولات بها وهو يقول : «القتال ، القتال ، القتال .» وعندما يكون في البيت زوار كان يثير ضحك العجائز ، الأمر الذي كان يسعده ، وترغب الشابات في تقبيله ، فكان يخضع لهن بشيء من الضجر . وعند انقضاء يومه الطويل على الخامسة ، كان يصعد إلى غرفته مع نانا التي تطعمه بالملعقة طحينة الشوفان وعصائد أخرى .

لم تكن هناك أي ذكريات مزعجة تقض مضجعه . لا يستحضر أي ذكرى عن أمجاده في الكلية ، وعن سنوات التألق عندما هيّج قلوب العديد من الفتيات . لم يكن هناك سوى الحواجز البيضاء الآمنة لسريره ونانا ورجل كان يأتي لرؤيته أحيانا ، وكرة برتقالية كبيرة جدا كانت نانا تشير إليها

Twitter: @alqareah

قبل أن تضعه في السرير وتدعوها «بالشمس» . وعندما تغيب الشمس كانت تثقل أجفانه- لم تكن هناك أي أحلام ، لا أحلام تطارده .

الماضي - العبء الثقيل في رؤوس رجاله على تلة سان خوان ، سنوات زواجه الأولى عندما كان يعمل حتى وقت متأخر في ليالي الصيف في هذه المدينة المزدحمة لأجل هيلدغارد الشابة التي يحبها ، وقبل ذلك ، عندما كان يجلس في الليل يدخن مع جده في بيت موتن القديم والمظلم بشارع مونرو ، وقد تلاشى كل هذا من ذهنه كأنه لم يحدث يوما . انه لا يتذكر . لا يتذكر بوضوح ما إذا كان الحليب دافئا أو باردا في آخر وجبة تناولها ولا كيف تمر الأيام ، لم يكن سوى سريره ونانا المألوفان له . ثم لم يعد يتذكر شيئا على الإطلاق ، وعندما يجوع كان يبكي ، هذا كل شيء . ليلا ونهارا كان يتنفس وكانت تصل إليه من الأعلى تمتمات غير واضحة وغمغمات بالكاد يسمعها ، والروائح متباينة بالكاد يفرقها ، والنور والظلام .

ثم أصبح كل شيء مظلما ، حتى سريره الأبيض والوجوه القاتمة التي كانت تتحرك فوقه ، ورائحة الحليب الدافئة ، تلاشت كلها تماما من عقله .

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفهرس

مـقدمــة	5
حفلة الأطفال	9
أخبار باريس- قبل خمس عشرة سنة	30
في مثل سنك	41
الفصل الأول	43
الفصل الثاني	53
الفصل الثالث	65
الفصل الرابع	73
حالة مدمن الكحول	75
الفصل الأول	77
الفصل الثاني	83
لعبة القدر	93
الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن	123

Twitter: @alqareah

الحالة المحيّرة لبنجامين بُتن

لم تكن هناك أي ذكريات مزعجة تقضّ مضجعه. لا يستحضر أي ذكرى عن أمجاده في الكلية، وعن سنوات التألق عندما هيّج قلوب العديد من الفتيات. لم يكن هناك سوى الحواجز البيضاء الآمنة لسريره ونانا ورجلٌ كان يأتي لرؤيته أحياناً، وكرة برتقالية كبيرة جداً.. كانت نانا تشير إليها قبل أن تضعه في السرير وتدعوها "بالشمس". وعندما تغيب الشمس كانت تثقل أجفانه؛ لم تكن هناك أي أحلام، لا أحلام تطارده.

9 789996 692086

KALEMAT